أريك

ديـوان الثقـافتين العربيـة والأرمنيـة

عدد رقم ١٠١ | السنـة الخامسـة عشـرة | يوليـة ٢٠٢٥



مدينـة (آني) عاصمة المملكة الأرمنيـة البجرادونية في القرنين القرنين العاشر والحادي عشر الميلادى

أريك

نشرة غير دورية تصدرها
جمعية القاهرة الخيرية الأرمنية العامة

رئيس التحرير:
د. علي ثابت صبري

سكرتير التحرير:
عطا أحمد درغام

العنوان: ٢٦ ش مراد بك - صلاح الدين
مصر الجديدة - القاهرة

تليفون: ٢٢٩١٦٤٤٤ (٠٢)

رابط مجلة أريك الإلكتروني:
https://me-qr.com/l/ArekArabic

رقم الإيداع: ١٨٣٧٤/ ٢٠١٠

إعداد وتصميم:
مؤسسة فِكر للتصميم والإعلان
Fikr Foundation For design and advertising .

المحتويات

السادة القراء الراغبون فى الحصول على هذا الإصدار مجاناً، الرجاء موافاتنا بالبيانات الآتية:

الاســـــــــــــم : ....

المـــهـــــنــــــة: ....

الـــعـــــنـــــوان: ....

البريـد الإلكتروني : ....

التليـــــــــفــــــون: ....

مدينة آني : كلمة التاريخ



بقلم: د. علي ثابت صبري

رغم مرور ١٠٢ عام علي توقيع معاهدة لوزان التي غيرت خريطة الشرق الأوسط، وأعلنت ميلاد الجمهورية التركية الحديثة، يظل التاريخ حياً ينبض بالحياة. مدينة آني، تلك المدينة التاريخية التي تقع ضمن الحدود التركية وفق لوزان، تحمل في طياتها تراثاً أرمنياً حضارياً غنياً يأسر القلوب.

ولقد لفت انتباهنا خبر نُشر في جريدة الأهرام المصرية العريقة – التي نهنئها بمناسبة بمرور ١٥٠ عاماً على تأسيسها–، في عددها الصادر بتاريخ ٢٢ مايو ٢٠٢٥، تحت عنوان " كان ياما كان .. مدينة اسمها (آني)"، كحديث مقتضب عن مدينة آني – الداخلة ضمن الحدود التركية بموجب معاهدة سيفر ١٩٢٠– ، ولم تشير كاتبة الخبر إلى أية معلومات تاريخية عن المدينة التي تحمل عبق التاريخ .

ومع ذلك، فإن مدينة آني لها مكانة خاصة في الوجدان الأرمني، لذلك تسبب الخبر في إثارة ردود أفعال متباينة حول ما نشر في الأهرام، لذا أود أن أعقب على هذا الخبر، وإلقاء الضوء على الجوانب التاريخية والثقافية لمدينة آني، وكشف اللثام عن أطلالها .

مدينة (آني) في الوجدان الأرمني

–كانت مدينة آني قلعة أرمنية في القرنين الخامس والتاسع الميلادي.

–أصبحت آني عاصمة مملكة أرمينيا البجرادونية في القرنين العاشر والحادي عشر.



–نافست آني العاصمة الأرمنية القسطنطية العاصمة البيزنطية.

–احتوت آني على مبانٍ وكنائس كثيرة ذات طابع معماري خاص، لدرجة تسميتها مدينة الألف كنيسة وكنيسة.

–ثمة آراء تذهب لربط الفن القوطي بالفن الأرمني في آني.

–توافد على حكم المدينة في القرن الثاني عشر الميلادي حكام مختلفون.

–حررت المدينة في ١١٩٩م وحكمتها أسرة زكاريان الأرمنية حتى هجوم المغول ١٢٧٦م .

–نتيجة لسياسات المغول والأتراك تجاه سكان آني عبر فرض الضرائب هجرها سكانها.

–في ستينات القرن الرابع عشر وقعت (آني) في أيدي القبائل التتارية، وفي القرن السادس عشر تعرضت لهجمات تيمورلنك.

–خلال القرن الثامن عشر وقعت المدينة في أيدي البكوات الأتراك، وخلال الحرب الروسية العثمانية آلت آني إلى روسيا، وفي اتفاق سيفر ١٩٢٠ آلت آني إلى تركيا.

ردود الأفعال الأرمنية على ما نُشر بخصوص مدينة آني

فى هذا الإطار، سوف ننشر لكم نماذج من مخاطبات الأرمن أفراداً ومؤسسات تعقيباً على مقال (كان ياما كان.. مدينة اسمها آني) المنشور فى جريدة الأهرام، بهدف توضيح تاريخ المدينة لما لها من مكانة عظيمة لدي الشعب الأرمني، وقد كانت على النحو الآتي:

عناية السيد الأستاذ/ ماجد منير ... رئيس تحرير جريدة الأهرام

تحية طيبة وبعد،،،

أتشرف بإفادة سعادتكم بأني قارئ منتظم لجريدتكم الغراء، وقد فوجئنا أنا و أقراني من المصريين ذوى الأصول الأرمنية عندما قرأنا عدد جريدة الأهرام الصادر في ٢٢ مايو ٢٠٢٥، حيث نُشر موضوعاً بقلم الأستاذة/ نادين حمامة، في الصفحة الأخيرة من الجريدة تحت باب (حديث الصور) وعنوانه **" كان ياما كان .. مدينة اسمها (آني) "**، ويشمل الموضوع ثلاثة صور يبدو أنها من معالم المدينة وتصحب الصور كلام مقتضب غير واضح الغرض من نشره. وإذا كان الموضوع المنشور المقصود به هو الإعلام السياحي فهو ناقص ولا يُؤدي غرضه.

ومن باب التصويب: أرجو التنويه بأن مدينة (آني) لا تقع في **"مدينة كارس التركية"**، بل هي مدينة مهجورة بعيدة عن مدينة (قارس) التركية، عاصمة ولاية قارس التركية التي تجاور جمهورية أرمينيا المعاصرة. وقد أغفلت الكاتبة أن مدينة (آني) كانت قلعة ما بين القرنيين الخامس والتاسع الميلادي. وأصبحت عاصمة أرمينيا في القرنيين العاشر والحادي عشر الميلادي، كما كانت مركزاً كبيراً للشئون الاقتصادية والثقافية من القرن التاسع إلي القرن الرابع عشر الميلادي، فقد وصل تعداد سكان مدينة (آني) أيام ازدهارها إلي (١٠٠) ألف نسمة.

وفى عام ٩٦١ م ، نقل البقراطيون – وهم سلالة ملكية أرمنية- مقر حكمهم من مدينة قارس إلى مدينة آني وأعلنوها عاصمة للبلاد. وفى عام ١٠٤٥م أنهي حكم البقراطيين، ووقعت آني تحت سيطرة البيزنطيين، وفى عام ١٠٦٤م إبان الغزو الثالث لأرمينيا من جانب السلاجقة وقعت آني فى أيديهم.

وخلال القرن الثاني عشر الميلادي حكم (آني) حكاماً مختلفون، وقد استولي جيش مشترك من الجورجيين والأرمن على (آني) وحكموها مدة قصيرة، وفى ١١٩٩م، حررت المدينة وأصبح يحكمها أسرة زكاريان الأرمنية. وقد انقطع حكم الأسرة بعد هجوم المغول على المدينة عام ١٢٧٦م، وقاموا بالاستيلاء عليها.

كذلك فإن ممارسات المغول والأتراك فيما بعد، قد تسببت في ظلم سكان مدينة (آني) عبر فرض الضرائب الباهظة، مما أرغم سكان البلاد على ترك مقارهم والهجرة إلى بلاد بعيدة عن المنطقة. مما تمخض عنه نقص سكان المدينة بعدما كانت أيام ازدهارها (١٠٠) ألف نسمة، وفي ستينيات القرن الرابع عشر وقعت (آني) في أيدي القبائل التتارية، وفى القرن السادس عشر تعرضت إلى غزوات تيمور لنك .

كما أصبحت المنطقة في القرن الثامن عشر ملكاً للبكوات الأتراك، وفى حرب ١٨٧٨م بين الدولة العثمانية وروسيا القيصرية آلت (آني) إلى الأخيرة، وفى اتفاق ١٩٢٠م بين تركيا وروسيا البلشفية عادت آنى إلى السلطة التركية.

وليس من المعقول، أن تُورد كاتبة المقال كل هذه التفاصيل التاريخية في المساحة المحدودة المتاحة لها، ولكنها كانت تستطيع أن توضح بعض الحقائق التاريخية وهى:

- أن مدينة آني مدينة أرمنية دخلت عليها دولاً كثيرة بدءاً من البيزنطيين وصولاً إلى الأتراك.
- أن مدينة آنى بالرغم من أنها مدينة مهجورة اليوم، إلا أن بقايا المباني والكنائس العديدة التي فيها تشهد على وجود تاريخ أرمني قديم بها .
- أن مدينة آني اشتهرت بوجود مجموعة كبيرة من الكنائس سُميت على أساسها مدينة الألف كنيسة وكنيسة.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام والتقدير

مقدمه لسيادتكم

أ.بيرج ترزيان

مرفق لسيادتكم طيه

- كتاب موجز تاريخ الشعب الأرمني

تحريراً فى الثلاثاء ٢٦ مايو ٢٠٢٥

السيد / ماجد منير المحترم.. رئيس تحرير جريدة الأهرام المصرية العريقة

يُسعدني أن أتقدم إليكم باسمي، روبرت غازاريان، مدير مؤسسة غيجارد للتحليلات العلمية ومقرها يريفان _ جمهورية أرمينيا.

تُـــركـــز مؤسستنا على البحث العلمي ونشر المواد التاريخية المهمة. وقد لفت انتباهنا مؤخرًا نشر مقال قصير في جريدة الأهرام عن أطلال مدينة (**آني**) المتواجدة من القرون الوسطي، والواقعة أقصي شرق تركيا- حالياً- على الحدود مع جمهورية أرمينيا.

على الرغم من صغر القطعة، إلا أنها نجحت في إبراز جمال مدينة (**آني**) وتاريخها العريق، حيث كانت (**آني**) عاصمة المملكة البجرادونية الأرمنية في القرنين العاشر والحادي عشر، حيث أحاطت بها تحصينات ضخمة، كما تميزت بكنائسها الفريدة من نوعها.

ونظراً لاهتمام القراء الواسع المحتمل بتاريخ آني الثقافي والمعماري، يُسرنا أن نقدم لكم مقالاً موسعًا، يستكشف تاريخ المدينة وحضارتها وعمارتها، مع إمكانية تقديمه باللغتين العربية والإنجليزية. ونحن على استعداد لتقديم المزيد من المعلومات والإجابة على أية استفسارات لديكم بخصوص هذا العرض.

كما نُؤكد لكم أن المقال سيتم تقديمه مجاناً، انطلاقاً من رسالة مؤسستنا في تعزيز المعرفة التاريخية.

مع خالص الاحترام والتقدير، ونسأل الله لكم التوفيق.

د. روبرت غازاريان

مدير مؤسسة غيجارد للتحليلات العلمية

الأكاديمية الوطنية للعلوم، يريفان

جمهورية أرمينيا

مؤسسة غيجارد (٣ يونيو ٢٠٢٥، ٣:٤٦ م) إلى البريد الإلكتروني: gate@ahram.org.eg

Dear Mr. Maged Mounir

My name is Robert Ghazaryan, and I am the Director of the Geghard Scientific Analytical Foundation, based in Yerevan, Republic of Armenia. One of the key areas of focus for the Geghard Foundation is the research and publication of historical materials.

Recently, a short article was published in Al-Ahram about the ruins of the medieval city of Ani, located in the easternmost part of present-day Turkey, on the border with the Republic of Armenia. Though brief, the piece vividly conveys the beauty and rich history of Ani, a city that was once surrounded by massive fortifications and renowned for its churches, distinguished by their unique architectural solutions and spectacularity. During the ١٠th and ١١th centuries, Ani was the capital of the Armenian Bagratid Kingdom.

Considering the recently published article and the potential interest this topic may hold for your broad audience, we would be pleased to offer Al-Ahram an engaging article that explores the history, culture, and architecture of the once-prosperous city of Ani. We can provide the article in both Arabic and English.

We are at your disposal to provide any additional information or to answer any questions you may have regarding this proposal. This article would be provided free of charge, as part of our Foundation's mission to promote historical knowledge.

With respect and appreciation, may Allah bless you.

PhD, Associate Professor Robert Ghazaryan

Director of the "Geghard" Scientific Analytical Foundation, National Academy of Sciences,

Yerevan, Republic of Armenia

نستخلص مما سبق، أن التاريخ سيظل هو الحارس الأمين لذاكرة شعوب ومجتمعات الشرق الأوسط، نافياً محاولات الطمس، شاهداً وحاكماً. إن ما تتعرض له المنطقة من تغيير قسري فى جغرافيتها، ومكوناتها البشرية، وانحراف تاريخها بعيداً عن قاعدته المركزية، لذا، فإن التمسك بتاريخ المنطقة الحقيقي هو أحد سبل مواجهة مشاريع التقسيم التي تستهدف المنطقة وشعوبها، كذلك أحد أهم آليات الوعي الرئيسية. لأن معركة الوعي هي الأخطر فى تاريخ شعوب المنطقة، فإن ١٠٢ عاماً لم تكن كافية لتغيير هوية المنطقة وطمس تاريخها والسطو على حقوق شعوبها، لذلك فإن رد الفعل الأرمني المميز هو نموذج مهم وملهم فى تمسك شعوب المنطقة بتاريخها و جغرافيتها وهويتها حتى وإن طرأ ما طرأ. وهو ما دفع أبناء الشعب الأرمني للتعقيب حفظاً للتاريخ، وتوضيحاً للرأي العام أن التاريخ لا يسقط بالتقادم. فإن الحفاظ على الذاكرة الجمعية دون تشويه أو تمويه، هو سبيل بقاء الشعوب واستمراريتها التى تستمدها من جذورها التاريخية، لذا، فإن العودة للتاريخ الحقيقي للمنطقة من الممكن أن تكون محور التقاء شعوبها لمواجه ما يحاك بها.



بقلم: أ.د / محمد رفعت الإمام
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
كلية الآداب– جامعة دمنهور

أشود الأول بجرادوني
إحياء المملكة الأرمنية

رغم تقسيم أرمينية الكبرى في عام ٣٨٧م بين فارس الزرادشتية وبيزنطة المسيحية ، فثمة حدثان محوريان فارقان قد أسهما بامتياز في حفاظ الأرمن على وحدة هويتهم وقوميتهم. أولهما: اعتناق أرمينية الدولة والأمة المسيحية ديناً رسمياً في عام ٣٠١م. وثانيهما : ابتكار الأبجدية الأرمنية في عام ٤٠٥م. وبموجب هذين الحدثين المهمين، استطاع الأرمن مجابهة التحديات والضغوطات الدينية والثقافية الفارسية والبيزنطية. ليس هذا فحسب ؛ إذ اكتسبوا قدرة على التكيف مع الغزوات العربية الإسلامية .

النخرارز : الأمراء الإقطاعيون

ورغم التقسيم الثاني لأرمينية في عام ٥٩١م بين بيزنطة وفارس، فقد أدى نشوء ونمو وصعود قيادات محلية أرمنية إلى إحياء المملكة الأرمنية بعد مرور خمسة قرون. وجدير بالتسجيل أن تشكيل طبقة الأمراء الإقطاعيين الأرمن «النخرارز» Nikhrars قد أسهم سلبياً أحياناً وإيجابياً أحايين أخرى في مسار التاريخ الأرمني العام. وعلى الأرجح، تعود كلمة «نخرارز» إلى أصل فارسي ، وتعني الأوائل أو الأصلاء؛ أي النبلاء أصحاب الأراضي الأرمنية قبل احتلالها وتقسيمها . وقد تم تعريب كلمة نخرارز
وثمة إحصاء قدر عدد البيوتات الإقطاعية الأرمنية بحوالي خمسين عائلة كبيرة على رأسها بجرادوني و جامسراجان و ماميجونيان وأردزروني وسيوني ورشدوني.
وكأن لكل عائلة رئيسها واقطاعياتها وألقابها التي يتوارثها الأبناء بموجب البكورة. واستطاع النخرارز الأرمن حشد ما يناهز عشرة آلاف فارس من المقاتلين زمن الحروب. وغالباً، تنافس الأمراء الإقطاعيون الأرمن فيما بينهم. وادعوا الانتساب إلى أصول أرمنية (وطنية) أحياناً، وإلى أصول أجنبية (آشورية وصينية ويهودية غالباً بغية تعزيز مكانتهم وقت الأزمات والشدائد والمحن.

وبينما ادعت عائلة أردزروني أنها ذات أصول آشورية، فقد ادعى بيت ماميجونيان بأنه ذا أصول صينية. وبينما تشبثت أسرة سيوني بأصولها الأرمنية وانحدارها من نسل الملك الأسطوري هايج، اعتقدت أسرة بجرادوني بأنها من نسل النبي والملك داود . وفي هذا الصدد ، روى المؤرخ الأرمني القومي موفسيس خوريناتسي – أبو التاريخ الأرمني – بأن الأمير سيمباد رأس العائلة البجرادية وقع في أسر نبوخذ نصر الثاني (٦٢٧ – ٥٦٠ ق.م) أثناء غزوته الأولى لمملكة يهوذا عام ٥٩٧ قبل الميلاد . ووفقاً لرواية خوريناتسي ، كان الملك الأرمني هراتشاى بصحبة بنوخذ نصر فاختار الأسير سيمباد لانتسابه إلى النبي داود، واصطحبه إلى أرمينية .

ورويداً رويداً ؛ صارت عائلة البيت البجرادي من أبرز الأمراء الأرمن الإقطاعيين (النخران) ، وأنيط برؤسائها تتويج ملوك أرمينية. وقامت بدور بارز إبان الوجود العربي الإسلامي في أرمينية الذي دام أكثر من قرنين ونصف القرن من الزمان (٦٤٠ – ٨٨٤م) على نحو ما سنفصله حالاً.

الوجود العربي في أرمينية

على النقيض تماماً من فتح العرب المسلمين لبلاد فارس، فقد استغرقوا حوالى نصف قرن للهيمنة على أرمينية؛ إذ أسهمت وعورة تضاريسها وجبالها وأقسامها الإدارية اللامركزية فى تكوين جيوب مقاومة صدت الغزوات العربية مراراً . هذا وقد بدأت الحملات العربية في عام ٦٤٠م، وتمخض عنها الاستيلاء على دڤين. ورغم نجاح الأمير الحاكم ثيودور رشدوني (٦٣٨-٦٥٦م) في صد الحملات العربية التالية، فقد استطاع جيش عربي أكبر هزيمة قوة أرمنية بيزنطية في عام ٦٤٤م .

وفي عام ٦٥٠م، أرسل معاوية بن أبي سيفان حاكم سورية (٦٣٩-٦٦١م) جيشاً كبيراً تغلغل في معظم داخلية أرمينية. ورغم مقاومة الأمير ثيودور رشدوني لجيوش معاوية، فقد خذله البيزنطيون والساسانيون. ولذا قبل رشدوني وزمرة من الأمراء الآخرين إقامة سلام فى عام ٦٥٢م مع العرب المسلمين مقابل إعفاء أرمينية – لعدة سنوات – من الضرائب واعتماد العرب على الفرسان الأرمن وقت الحرب . وقد تم الاتفاق على عدم تعيين حكام عرب على أرمينية، وقيام القوات الإسلامية بحماية أرمينية ضد الهجمات البيزنطية. وبوصف الأرمن أهل كتاب فقد دفعوا جزية، ومنحوا حرية العقيدة. وبذا استطاع الأمير ثيودور رشدوني انتزاعها من الإمبراطور البيزنطي المسيحي.

وقد أدى بزوغ قوة دولة الإسلام إلى تدمير الإمبراطورية الساسانية الفارسية (٢٢٤-٦٤٢م) وتراجع الإمبراطورية البيزنطية (٢٨٤ – ١٤٥٣م). ولهذا، توقف الصراع بين الشرق الزرادشتى والغرب المسيحي فى أرمينية أو على أراضيها لأول مرة منذ قرون عديدة . ولأول مرة منذ عام ٣٨٧م – تقسيم أرمينية الأول – توحدت أرمينية الكبرى وشعبها تحت لواء حاكم واحد قائد الأرمن) . بيد أن هذا الوضع قد خلق صراعات عنيفة بين بيوتات الأمراء الأرمن الإقطاعيين للفوز بلقب «حاكم الأرمن» من قبيل آل رشدوني و أردزرونى وسيونى و ماميجونيان و بجرادونى .

وقد تزامنت وفاة الأمير ثيودور رشدوني في عام ٦٥٤م مع نشوب أزمة الخلافة الإسلامية بين الأمويين والعلويين. ولذا نجح البيزنطيون في تنصيب أمراء بيت ماميجونيان محل بيت رشدوني.

وبحلول عام ٦٦١م، انتهت أزمة الخلافة الإسلامية بتأسيس الدولة الأموية (٦٦١-٧٥٠م) التي أجبرت الجاثليق الأرمني أناستاس أخوريتسى (٦٦١-٦٦٧م) وبيت ماميجونيان على قبول الهيمنة العربية ودفع جزية ذهبية سنوياً مقابل حكم أرمينية . وقد جدد البيزنطيون ضغوطاتهم لإخضاع أرمينية سياسياً ودينياً. بيد أن محاولاتهم قد باءت بالفشل.

وتحت الهيمنة العربية، شيّد الأرمن كنائس وقلاع، وازدهرت الزراعة ، و توسعت التجارة . وتناوب بيتا بجرادوني و ماميجونيان السلطة السياسية تحت القيادة العربية . واستمر الأمراء الأرمن الإقطاعيون الآخرون في حيزة أراضيهم. وتمتع الجاثليق – بطريرك عموم الأرمن – بحرية التنقل ، واحتفظ بسلطاته القضائية على الكنيسة الألبانية القوقازية .

وبسبب الصراع الأموي – العباسي، اضطر الأمويون إلى ضم أرمينية رسمياً إليهم في عام ٧٠١م، وتأسيس ولاية أرمينية التي شملت معظم أرمينية الكبرى وبلاد الكرج (جورجيا) والأغفان ألبانيا القوقازية) . وصارت دڤين عاصمة لها، ومقراً للحاكم المسلم أوستيكان Ostikan واحتفظ الأمراء النخارزر باستقلالهم الذاتي تحت الحاكم المسلم ، مع عدم هيمنة عائلة بمفردها على الإدارة المحلية .

وفي عام ٧٠٣م تمردت بعض عائلات الأمراء الأرمن الإقطاعيين بدعم بيزنطة ضد السيطرة العربية الإسلامية. بيد أن الأمويين قد أهلكوا عدداً ليس بالقليل منهم في مذبحة ناخيتشيفان ولم تتورط الكنيسة

الأرمنية فى هـذا التمرد. وفي عـام ٧٠٥م، تعرضـت الأمويون لهجمات الخزر، واشـترك النخرارز الأرمن مع العرب ضـد الخزر. ولذا، شـهد العقدان التاليان مرحلة تعـاون وثيق بين العرب والأرمن الـذين سمحوا للآخرين بمسـاحة من الاسـتقلال. وجدير بالتسـجيل أن العرب المسـلمين قد تسـاهلوا تجاه الكنيسـة الأرمنية واعتبروها القائد الرئيسـي للأرمن . وفي هذا السـياق، نظمت الكنيسة – لأول مرة – مجموعة من الشرائح المختصة به، فيما يُعد علامة بارزة في السجل العام للكنيسة الأرمنية . وفى عـام ٧٢٦م ، بـدأ الخـلاف حـول الأيـقـونات في الإمبراطورية البيزنطية مما أدى إلى تحرير الكنيسـة الأرمنية نسبياً من تدخلات الكنيسة البيزنطية.

ولأول مرة، ثمة تغيير جزئي فى التكوين القومي لأرمينية باسـتيطان العرب لها عكس الغزاة والفاتحين السـابقين . وعلى خلاف الأمويين ، أسس العباسيون في عام ٧٥٠م دولة إسـلامية متعددة الأعراق شـبيهة بإمبراطورية، وبذا، شـغل الفرس والأتراك وظائف ومناصب عالية . وانتقلت العاصمة من المركز العربي دمشق إلى بغداد.

الخلافة العباسيةورغم أن الأرمن قد استغلوا الفترة الانتقالية من دمشـق إلى بغداد للتخلص من الحكم العربي ، فقد نجح العباسـيون فى اسـترداد الهيمنة على أرمينية. ولم يثق العبـاسـيون في بيـت بجرادوني لكونـه موال للأمويين، ولم يثقوا في آل ماميجونيان بصـفتهم موالين للبيزنطيين. ولكن مع حلول الربع الثالث من القرن الثامن الميلادي، نجح البجرادونيون في إصـلاح العلاقات مع العباسـيين الـذين اعترفوا بهم قـادة للأرمن مما أغضـب عـائلات مـاميجونيان ورشـدوني و أردزرونى وإبان حكم الخليفة العباسي هارون الرشيد (٧٨٦-٨٠٩م) ، استوطن الجنود والتجار العرب في أرمينية. وعينت بغداد أسـرات عربية حـاكمة لأرمينية أو لتكوين مسـتوطنات فيها وغيرها من القوقاز مثل تفليس ودڤين .

وناخيتشـيفان وديار بكر التي أصـبحت مراكز إدارية للعرب المسلمين يتولاها أمراء. وثمة زواج مختلط بين العرب وأهالي هـذه البلاد. وتحوّل كثيرون إلى الإسـلام ، عنوة أحياناً وطواعية أحايين أخرى. واندمجت عشـائر عربية من قبيـل شـيبـان وجحـاف في بيوتات الأمراء الأرمن الإقطـاعيين. وقـد شملـت «ولايـة أرمينيـة آنـذاك أرمينية الكبرى والكرج (چورچيا) والأغفان ألبانيا القوقازية).

ولم يدم طويلاً وضـع الأمراء العرب لحكام أو قادة مؤقتين لحاميات عسـكرية. ولحسـن حظ أرمينية، لم تشـمل الإدارات العربية أبداً أغلبية السكان، ولم تكن متحدة .

بزوغ البيت البجرادي

وبمرور الوقت، أخذت الخلافة الإسلامية العباسية تتدهور، ولذا، بدأت الإمارات والولايات تتصرف باستقلالية عن بغداد واضـطر الحكام المسـلمون الانتقال من دڤين إلى باردا في أقصـى شـرق أرمينية . وفى هذا السـياق، بزغت الزعـامـة البجرادية تحـت قيـادة أشـود مسـاكر «آكل اللحوم» (٧٩٠-٨٢٦م). وفى بداية القرن التاسع الميلادي،وسـع أشـود اقطاعياته على حسـاب عائلتي ماميجونيان و جامسراجان اللتين أصابهما الوهن وخارت قواهما. وفى تلك الأثناء، أسـس عمه البيت البجرادي في أيبيريا Iberia (چورچيـا). وبعـد موت أشـود في عـام ٨٢٦م، اتخذ ابنه الأكبر بجراد لقب أمير الأمراء، واتخذ ابنه الأصغر لقب سبارابيت (قائد الجيش).

وفي عام ٨١٦م، تمرد بابك الفارسـي المزدكى بالتحالف مع أمراء سيوني ضد بغداد مستغلاً الشقاق داخل البلاط العباسي بين الجناحين الفارسي والتركي. وفي عام ٨٣٦م، أرسـل الخليفة المعتصـم (٨٣٣-٨٤٢م) قائداً فارسـياً يُسمى أفشين للقبض على بابك آنف الذكر.

وفعلاً، قبض أفشين عليه في العام التالي (٨٣٧م) مباشرة بفضـل خيانة الأرمن والفرس الذي وعدهم بتخفيض الضرائب وهامش من الحكم الذاتي.

بيد أن تصاعد نفوذ أفشين في أذربيجان ومنطقة قزوين قد انتهت بمقتله عام ٨٤١م بتحريض من الخليفة المعتصم ذاته.

وفي تلك الأثناء، استعان الخليفة العباسي المعتصم بالعبيد أو المرتزقة الأتراك في جيشه الرئيسي. وعلى خلفية الصراعات بين الأجنحة التركية والعربية والفارسية، نقل الخليفة العباسي عاصمة الخلافة من بغداد إلى سامراء على الضفة الشرقية لنهر دجلة، وظلت هناك حتى عام ٨٧٠م . وفى عام ٨٤٧م، نصب الأتراك المتوكل خليفة (٨٤٧-٨٦١م) في سامراء، وسعى لاستعادة سلطاته بكل صرامة، وتعرض المسيحيون واليهود للاضطهاد.

وانطلاقاً من هذا السياق، حدث تمرد للمرة الثانية في أرمينية خلال عامي ٨٥٠ - ٨٥١م . ورغم أن بجراد بجرادوني -ابن أشود مساكر- قد أرسل مبعوثاً بالضرائب المطلوبة إلى الخليفة المتوكل، موضحاً له باحتفاظه بحكم أرمينية الذاتي رغم تبعيتها للخلافة العباسية.

اعتبر الخليفة المتوكل سلوك بجراد بجرادوني تمرداً، ولذا، غزا جيش الحاكم المسلم (أوستيكان) أرمينية ، ولكنه انهزم أمام بجراد الذي تحالف مع أمراء أردزرونى في فاسبوراجان. وعندما كرّر المتوكل حملاته على أرمينية، انسحب آل أردزرونى، واضطر آل بجرادوني إلى القتال بمفردهم مما أدى إلى القبض على بجراد واقتياده أسيراً إلى سامراء ومقتله عام ٨٥٢م. ولهذا ، ثار الأرمن وقتلوا القائد العسكري العربي إسحق بن إسماعيل، وأجبروا القوات العربية على الانسحاب من الأراضي البجرادية فى تارون .

اتحد معظم الأمراء الإقطاعيين الأرمن ضد المسلمين . ولهذا، أرسل الخليفة العباسي المتوكل جيشاً ضخماً لقمع التمرد وإخضاع النخرارز الأرمن نهائياً . ورفض ، سيمباد بجرادونى - شقيق بجراد - مشاركة المتمردين على أمل مساومة الخليفة. بيد أن المتوكل لم يقبل أية مساومات . وقام الجيش الإسلامي بتدمير أرمينية والكرج والأغفان .

وبحلول عام ٨٥٣م، تم القبض على معظم الشخصيات المهمة من النخرارز، وفيهم سيمباد بجرادوني ، وسيقوا جميعاً إلى العاصمة العباسية سامراء . ولإنقاذ حيواتهم ، وافق جميع الأمراء الأرمن على اعتناق الإسلام عدا سيمباد الذي رفض حتى وفاته في سامراء.

جدير بالتسجيل أن حملات الخليفة العباسي المتوكل كانت آخر محاولة للسيطرة المباشرة على أرمينية . بيد أن مقتله على أياد قواته الأتراك المرتزقة في عام ٨٦١م قد وضع حجر الأساس لتدهور واضمحلال الدولة العباسية . وبعد عودة النخرارز الأرمن من سامراء عقب مقتل المتوكل، استمروا فى كفاحهم ضد الأمراء العرب لاسيما عائلتي بجرادوني وأردزروني فى مناطق تارون وساسون وفاسبوراجان وموك. ومع أواخر القرن التاسع الميلادي، ظل الأرمن يُشكلون أغلبية السكان في أراضيهم التاريخية. وواجه الأمراء العرب صعوبات جمة في الإبقاء على ممتلكاتهم في أرمينية؛ إذ شكلت جبالها ووديانها ملاذات تحصن بها النخرارز للنزوع إلى الاستقلال.

هنا، حث أشود بن سيمباد بجرادوني على حشد القوة، واستمر في الضغط على الأمراء العرب . واكتسب بيت بجرادوني احتراماً متزايداً في أرمينية، وأدركت الخلافة العباسية والأسرة المقدونية فى بيزنطة جدوى التحالف الأرمني، مما خلق ظروفاً مواتية لتأسيس مملكة أرمنية .

الأمير أشود الخامس بجرادوني

عانت أرمينية فراغاً في السلطة عشية منتصف القرن التاسع الميلادي على خلفية انشغالات الدولة العباسية والإمبراطورية البيزنطية بقلاقل داخلية وصراعات خارجية. وتعرض الكيان الأرمني لمزيد من الضعف السياسي نظراً لأن بعض بيوتات الأمراء البخزارز قد هجروا الوطن الأم، وضعفت بعض البيوتات الأخرى نتيجة صراعاتهم الداخلية علاوة على إسلام الأمراء الأرمن في سامراء وبقائهم هناك لمدة ثماني سنوات.

ورغم كل هذا، ثمة بيوتات أمراء إقطاعية اتسمت بالقوة، وسعت لاستغلال هذا الفراغ وذاك الضعف لصالح الكيان الأرمني.

نجح الأمير أشود الخامس بن سيمباد بجرادونى – شهيد سامراء – في استثمار هذه الأجواء وتوظيفها في مجرى تأسيس مملكة أرمنية مستقلة. ففي أثناء حكم الخليفة العباسي المتوكل (٨٤٧) – (٨٦١م)، أفسد ولاة أرمينية مثل يوسف بن محمد المروزي (٨٤٩ ٨٥٢م وغيره وطغوا في أرمينية التي ذاقت ويلات العنت والجور على يديهما. ولذا، قاومهم الأمير أشود أردزرونى. بيد أن الوالي المسلم قد أسره وأرسله إلى سامراء، وعيّن أشود بن سيمباد بجرادوني على أرمينية وسكانها العرب والأرمن معاً.

وبفضل مساعي على بن يحيي القائد ذوى الأصول الأرمنية وثيق الصلة بالخلفاء العباسيين حصل الأمير أشود الخامس البجرادي على لقب إيشخان (قائد عام) أرمينية في عام ٨٥٥م ، ثم أمير أمراء بطريق البطارقة) الأرمن بين عامي ٨٦٢ – ٨٥٥م . وهكذا ، وعلى مدار ثلاثة عقود (٨٥٥) – (٨٨٥م) ، ظل الأمير أشود الخامس بجرادوني قائداً عاماً وأميراً لأمراء أرمينية إبان عهود الخلفاء العباسيين : المتوكل (٨٤٧ – ٨٦١م) ، المستعين (٨٦٢ – ٨٦٦م) ، المعتز (٨٦٦ – ٨٦٩م)، المهتدى (٨٦٩-٨٧٠م) ، المعتمد (٨٧٠ – ٨٩٢م). وقد شغل هذا الموقع السياسي المهم زمن الولاة العباسيين في ولاية أرمينية كل إقليم ما وراء القوقاز) : العلاء بن أحمد الأزدى (٨٦٥ – ٨٧٠م) ، عيسى بن الشيخ الشيباني (٨٧٠) – (٨٧٧م) ، محمد بن خالد الشيباني للمرة الثانية (٨٧٨ – ٨٨٢م).

وعقب وفاة الأب سيمباد ، اتخذ الأمير أشود الخامس لقب تانوتير Tanuter (زعيم العشرة وسبارابت البيت البجرادي ، وأخذ في حشد القوى الأرمنية ، وادعى امتداد أصوله إلى الملك التوراتي داود .

وفى نفس الوقت ، ارتدى البجراديون العمائم وتقلدوا أسماء عربية .

ورويداً رويداً ، تمكن الأمير أشود الخامس من توسيع دائرة نفوذ وسيطرة وهيبة البجرادونيين . وبين عامي ٨٥٥ – ٨٦٢م، وسع أشود نطاق نفوذه بضم ممتلكات بيوتات آل ماميجونيان و جامسراجان. كما أقام تحالفات عبر المصاهرات السياسية مع الفرع البجرادي في بلاد الكرج (چورچيا) ومع البيت الأرمني الإقطاعي الأردزرونى فى فاسبوراجان . وهكذا، سيطر الأمير أشود الخامس البجرادي على المناطق الشمالية والجنوبية والغربية من أرمينية الكبرى . واحتفظ بعلاقات صداقة مع أمراء سيونيك في شرق أرمينية.

ومنذ تنصيب أشود الخامس البجرادي أميراً للأمراء في أرمينية عام ٨٦٢م، انتفض لإحياء الدولة الأرمنية ، ووحد صفوف الأمة مستعملاً اللين أحياناً والشدة أحياناً أخرى . وأسس الجيش ، وعهد بمقاليد أموره إلى أخيه العباسي (سبارابيت)، وجمع الضرائب والجزية من المناطق المجاورة. ونظراً لوجود مدينة ايتشميادزين – المركز الروحي للأرمن ومقر جاثليق الكنيسة الأرمنية – ضمن حدود الأمير أشود الخامس البجرادي ، فقد تمتع بدعم المؤسسة الدينية. وفي مستهل حكمه عام ٨٦٢م، سعت الكنيسة البيزنطية إلى ضم الكنيسة الأرمنية إليها . بيد أن مجمع شيراكون الأرمني رفض مقترحات التوحيد في ذات السنة.

وعلى خلفية الأطماع الدينية والسياسية البيزنطية في أرمينية ، انحاز أمير الأمراء أشود الخامس البجرادي إلى الدولة العباسية في حروبها ضد القسطنطينية التي جرت مرتين ؛ أولاهما بين عامي ٨٦٤ – ٨٦٥م ، وثانيهما بين عامي ٨٧٣ –٨٨٢م.

ومن المفارقات ، وقعت المواجهة الثانية إبان حكم الإمبراطور باسيل الأول (٨٦٧-٨٨٦م) الأرمني الأصل. وقد تمخضت هذه الحروب عن استيلاء الإمبراطورية

البيزنطية – مؤقتاً – على إقليم تارون الأرمني عام ٨٧٧م . وقد نصبت القسطنطينية حاكم تارون الأمير أشود البجرادي التاروني – ابن حاكم أرمينية السابق بجراد الثاني البجرادي – بمثابة حاكم وأمير على عموم أرمينية بغية خلق مشاحنات مع حاكها أمير الأمراء أشود الخامس البجرادي . بيد أن أمير إقليم فاسبوراجان الأرمني عزل الحاكم المنافس – صنيعة بيزنطة – وقبض عليه في عام ٨٧٨م.

وجدير بالتسجيل أن الأمير أشود الخامس البجرادي خدم الدولة العباسية بمحاربة الخارجين عليها في أرمينية سواء كانوا من العرب أو الأرمن . وفي هذا الخصوص ، ساعد الأمير الأرمني الوالي العربي المسلم عيسى بن الشيخ الشيباني من القضاء على الإمارة القيسية العربية فى ملازكرد خلال الفترة من ٨٧٠ – ٨٧٧م . كما أسهم في القضاء على إمارة بجروند الأرمنية بزعامة الأمير كريكور ماميجونيان وسعى الأمير أشود الخامس إلى إعادة صديقه عيسى بن الشيخ الشيباني إلى حكم ولاية أرمينية كلها، وظل بها منذ عام ٨٧٨م حتى وفاته عام ٨٨٢م. وبعدئذ، لم تعين دولة الخلافة بديلاً له.

وجدير بالذكر أن ثمة عقبات داخلية وعراقيل خارجية قد حالت دون نجاح الأمير أشود الخامس في إعادة توحيد أرمينية الكبرى بالكامل. داخلياً ، امتنع بيتا سيوني وأردزروني القويين عن تأييد البيت البجرادي، وغالباً تحالفا ضده . ووقف الحاكم المسلم (أوستيكان) والإمارات العربية المسلمة حجر عثرة أمام أشود في استكمال توحيد أرمينية الكبرى. وقد أقام الحاكم المسلم في باردا ودقين بالتناوب مما أدى إلى الوقيعة بين البجرادونيين من ناحية وبلاد الكرج وسيونيك من ناحية أخرى.

وقد احتلت الإمارات العربية الأراضي الوسطى الأرمينية الكبرى الممتدة بين قطاعات البجرادونيين والأردزرونيين . ولذا ، لم يكن أشود – وحتى خلفائه – قادرين على ربط أرمينية الواقعة تحت حيازة الأرمن وتوحيدها في جبهة واحدة ضد العرب المسلمين . زد أيضاً ، ظلت مدن جد مهمة من قبيل دقين وناخيتشيفان تحت السيطرة العربية معظم تلك الفترة.

وخارجياً ، تعرض البجرادونيون إلى تهديد بيزنطة المباشر. فمنذ ظهور الأسرة المقدونية (٨٦٧ – ١٠٨١م) في العالم البيزنطي، أخذت القسطنطينية تتدخل مجدداً في الشؤون الأرمنية . ومن المفارقات ، رغم الأصول الأرمنية للأباطرة المقدونيين ومسيحيتهم ، فإنهم لم يُؤسسوا محور تحالف بيزنطي – أرمني ضد المسلمين. وعلى النقيض تماماً، جددت بيزنطة استراتيجيتها القائمة على تقديم المعونة العسكرية الأرمنية مقابل الهيمنة على أراضيها علاوة على الاتحاد مع الكنيسة البيزنطية .وإضافة إلى هذا، تكونت إمارات إسلامية صغيرة إثر تدهور الدولة العباسية على حدود أرمينية الجنوبية هدَّدت أمنها من حين لآخر.

وبغية تعزيز وضع أرمينية، تحالف الأمير أشود الخامس البجرادي مع بيزنطة ووافق على إجراء حوار مبدئي حول توحيد الكنيستين الأرمنية والبيزنطية. وعندئذ أدرك الخليفة العباسي المستعين بالله (٨٦٢ – ٨٦٦م) أن تزايد قوة البجرادونيين قد يعوق استقلال الإمارات العربية المتزايد . ولذا ، أنعم عليه بلقب أمير الأمراء في عام ٨٦٢م، ومنحه سلطة فرض الضرائب . ورغم أن لقب أمير الأمراء شمل الهيمنة على بلاد الكرج وأجزاء من القوقاز، فإن وجود الحاكم المسلم في باردا كان يعنى أن حكم أشود لن يمتد إلى أبعد من أرمينية الكبرى . وبدعم أشود ، فرضت الكنيسة الأرمنية سيادتها على كنيسة الأغفان .

الملك أشود الأول الأكبر

وفي مطلع ثمانينيات القرن التاسع الميلادي، تمرد الأمير الفارسي شهاب على الخليفة العباسي المعتمد (٨٧٠ – ٨٩٢م) ، ودخل أرمينية بجيش قوامه ٨٠ ألف جندي . بيد أن قوات الأمير أشود الخامس بقيادة أخيه العباس

قد صـــدت جيش شـــهاب و هزمته وردته مدحوراً .
وفى غمار نشـوة هذه الانتصـارات ، ازداد تأييد الجاثليق كيڤورك الثـاني (٨٧٨) - (٨٩٩م) - بطريك عموم الأرمن - للأمير أشـــود الخامس البجرادي، وكذا، معظم الأمراء الأرمن الإقطاعيين وعموم الأرمن.
وانطلاقاً من هـذا الوفاق ، طلب الأمراء الأرمن في عـام ٨٨٥م من الخليفة العباســي عبر واليه عيســى تمليك أشـــود» على أرمينية. وفعلاً وافق المعتمد العباســي على طلبهم ، وأقام الأمير أشـود الخامس ملكاً ، وأرســل إليه تاجاً . ومنذ ذاك، صار يسمى الملك أشود الأول الأكبر البجرادي) ٨٨٥-٨٩٠) .
وبعد صـــلح الإمبراطورية البيزنطية مع الخلافة العباســية عـام ٨٨٢م ، آثر الإمبراطور البيزنطي باســيل الأول (٨٦٧ - ٨٨٦م) - الأرمني الأصـل - الاعتراف بالأمير أشـود الخامس ملكاً على أرمينية فى نفس سـنة تنصيب الخليفة العباسـي إياه ملكاً (٨٨٥م) . وعلى غرار الخليفة العباسـي ، أرسـل الإمبراطور البيزنطي تاجاً آخر لأشـود وهدايا ثمينة وقطعة من خشـب الصليب الأصـلي تأكيداً على الرباط المسيحي الذي يجمعهما .
وهكذا، أصبح الأرمينية مملكة جديدة وسـلالة حاكمة . وقد توج الجاثليق كيڤورك الثاني الأمير أشود الخامس ملكاً على أرمينية بحضـور الأمراء (النخرارز) وعموم الشـعب . وبعد التتويج ، نقل الملك أشـــود الأول الأكبر البجرادي عاصـمة حكمه إلى بجران الواقعة على الضـفة الغربية لنهر أخوريان . وأجرى الملك الجديد سلسلة من الإصلاحات الإدارية المطلوبة لأجهزة دولته الوليدة . واســتن القوانين، واهتم بتقوية الجيش ووضـــع البرامج التدريبية له . وأولى عناية ملحوظة بإعلاء شأن الأرمن .
وقد جنح الملك أشـود الأول عموماً إلى السـلم وحسـن التفاهم والمســاعي الحميدة . بيد أنه لجأ إلى الحزم والقوة عنـدمـا ثار عليـه الأمراء الأرمن الإقطـاعيين في جـارس وفاسبوراجان نظراً لاعتراضـهم على تنصيبه ملكاً مما سد أمامهم فرص بلوغ عرش أرمينية.
اتسـمت سـياسـة الملك أشـود الأكبر الخارجية بالمثالية والسـلمية. ورمت اسـتراتيجياته إلى حفظ التوازن والوقوف على الحياد بين الدولتين العباســية والبيزنطية. ولذا، عقد الاتفـاقيـات التجـاريـة والتحـالفـات مع الـدولتين. ومن المفارقات، زار الملك أشـــود الأول العاصـــمة البيزنطية القســطنطينية دون أن تُســاور الظنون إدارة الخلافة العباســية. وكما أنه حليف للخليفة، فقد كان حليفاً للإمبراطور، وأمد كلاهما بالجيوش والعتاد زمن الحرب.
وخلال ســنوات حكم الملك أشـــود الأول الســـت ، لم يقتصر على بسط نفوذه السياسي على الإمارات فقط، ولكنه اســتطاع تمكين البجرادونيين الجورجيين من تعزيز ســيطرتهم في أيبريا. وضـــمت المملكة الأرمنية البجرادية تحت انتدابها مملكتي الكرج والأغفان. وسيطر أشود الملك على دقين، ولكنه لم ينقل بلاطه إليها، وظل في باجران مما ترك دقين - مركز أرمينية - بلا حماية وتحت السـيطرة العربية. وعمت أرمينية في عهده بالأمان والرخاء اللذين حُرمت منهما طويلاً .
وجدير بالتســجيل هنا، حكمت الأســرة البجرادية (٨٨٥ - ١٠٦٤م) معظم أرمينيـة الكبرى في وقـت تفككـت إبانـه إمبراطوريـة ملكى إنجلترا شـــارل الأول والثاني. وبدأت تتكون ولايات منفصـلة في إنجلترا، وكذا، فرنسا والإمبراطورية الرومانية المقدسة ألمانيا لاحقاً .
وبلغت هجمات قبائل الفايكنج ذروتها على أوربا، وأخذ النورمانديون يستعدون لغزو إنجلترا . وبدأت تستشري في بلاد الأندلس حركة الاسـترداد المسـيحي Reconquista لإعادة شبه جزيرة أيبريا إلى مسيحيتها الكاثوليكية.
وفي نفس التوقيت أيضـاً، حكمت أسـرة سـونج الصـين، وبدأ ظهور محاربي السـاموراي في اليابان. وتأسـست أول دولة روسـية في كييف، وبعد ذلك اعتنقت المسـيحية إثر البعثات التبشيرية من بيزنطة. وفتح المسلمون شمال الهند، وانتشر الإسلام في جنوب الصحراء الأفريقية ، وتأسست

ممالك إسلامية من قبيل صنغي وغانا وكانم . وفى العالم الأمريكي، استقرت قبائل الإنكا في بيرو، وانهارت حضارة المايا وحل التولتك محل الأوليمبك في المكسيك.
وهكذا ، نجح الملك أشود الأول الأكبر البجرادي في إعادة استقلال أرمينية وتأسيس المملكة البجرادية أو البجرادونية نسبة إلى عائلة بجرادوني شأن السلالات الملكية الأرمنية السابقة من قبيل اليرقانديين والأرشاجونيين. ورغم إن بيوتات ماميجونيان وأرد زرونى و رشدوني وسيونى كانت متفوقة على بيت بجرادونى ، فقد تفوق البيت الأخير عليهم زمن الهيمنة العربية بفضل دهائهم ومواءماتهم . ولذا، انحصر فيهم أشاخنة (أمراء) أرمينية ثم ملوكها.
وجدير بالتسجيل أن عائلة بجرادوني قد استفادت بامتياز من ضعف الدولة العباسية لصالح استقلال أرمينية وإعادة بناء دولتها. ففى تلك الآونة، انقسمت دولة الخلافة الإسلامية إلى إمارات ودول مستقلة على أساس إقليمي وعنصري وقومي وديني، وضعفت اقتصادياً وعسكرياً، وتراجعت السلطة المركزية وتدهورت، وتعمقت التناقضات العرقية والدينية بين المنظومة السكانية، وتفشت المظالم والمفاسد، وظهرت زمرة عسكرية من القادة الأتراك الذين تحكموا في الخلفاء وأزالوا هيبتهم. ولذا، لم تتمكن الإدارة العباسية المركزية من الحيلولة دون استمرار عملية تقسيم الخلافة. ورغم مقاومة الخليفة وبلاطه، فقد اضطروا إلى تقديم تنازلات للكيانات الإدارية الجديدة ومنحها شكلاً من أشكال الحكم الذاتي.
وعلى المستوى الخارجي، أسهم صعود بيزنطة وازدياد قوتها ونشاطها المعادي ضد الخلافة الإسلامية إلى تسريع عملية تقسيمها ودعم القوى المناهضة لها .
. وهنا، لعب الأمراء الأرمن على وتيرة التناقضات العباسية – البيزنطية . وعلى المستوى الأرمني، استغلت أرمينية المتغيرات العباسية – البيزنطية بكل مهارة وإرادة سياسية وروح قوية بغية إعادة الاستقلال . وآنذاك، ساد الفكر الاستقلالي بين الأمراء ورجال الدين والجنود والفلاحين، واتفقوا على إعادة استقلال أرمينية ونفض الهيمنة العربية . وبينما كانت الخلافة العباسية تتدهور، كانت قوة النخرارز الأرمن تتصاعد . وتعد هذه الحقبة من أفضل فترات التاريخ الأرمني؛ إذ اجتمعت جميع الطوائف والأطياف على هدف قومى واحد وقيادة مستعدة للنضال تجسدت في آل بجرادوني الذين اتسموا بالشجاعة وبعد النظر والدبلوماسية الماهرة . وبفضل ملكات البجرادونيين ، أضحى أمراؤهم قوة سياسية – عسكرية على المسرح الأرمني، وقادوا الصراع بغية تحقيق آمال الأرمن في بناء دولة مستقلة على أرض الأجداد .
وهكذا، نجح البجرادونيون بقيادة الملك أشود الأول الأكبر في استرداد استقلال أرمينية بعد مرور ٤٥٧ سنة من سقوط المملكة الأرمنية الأرشاجونية (٦٦ – ٢٥٢م). وبعد مرور أكثر من قرنين على الغزو العربي الإسلامي. وبصعود نجم الملك أشود الأول ، صعدت مكانة أرمينية، وحصلت البلاد على الاستقلال الداخلي، وسيطرت على النواحي الاقتصادية والإدارية والضرائبية والأمن العام.
وأيضاً، قامت الدولة البجرادية على أراضى الوطن الأم أرمينية الكبرى الواقع على الحدود الشمالية الغربية لدولة الخلافة العباسية مع الدولة البيزنطية.
وارتكزت الدولة البجرادية على الشعب الأرمنى صاحب اللغة المميزة والأبجدية الفريدة والكنيسة الوطنية . وعندما طالب الأرمن بالاستقلال، ارتكزوا على قوةوزعامة حاكمهم أمير الأمراء الذين رشحوه ملكاً عليهم . وقد كان اعتراف مملكة أرمينية المستقلة بالسيادة العربية الإسلامية رسمياً، ولكنه كان شكلياً؛ إذ دفعت مبلغاً ضئيلاً من الجزية، واستردت أرمينية وضعها الجيوستراتيجى قبل الغزو العربي كدولة حاجزة بين الإمبراطورية البيزنطية

والخلافة العباسية. وخلاصة القول، كان هذا الاستقلال في صالح أرمينية، وفى نفس الوقت في صالح بيزنطة وبغداد؛ إذ عاد الأرمن إلى ممارسة وضعهم الجيوستراتيجى كوسيط ورسل مساعى حميدة بين الشرق والغرب .

خلفاء البيت الملكي البجرادي

في عام ٨٩٠م ، توفى الملك أشود الأول أثناء عودته من القسطنطينية داخل حدود مملكته بعد أن خدم أرمينية أجل الخدمات. ومن بعده، توالى على العرش الأرمنى الملوك : سيمباد الأول (٨٩٠ - ٩١٤م)، أشود الثاني الحديدي (٩١٤) - (٩٢٩م)، العباس الأول (٩٢٩) - (٩٥٣م شقيق الملك المؤسس ، أشود الثالث (٩٥٣ - ٩٧٧م) الشهر بالرحيم، سيمباد الثانى (٩٧٧) - (٩٨٩م ، چاچيك الأول (٩٨٩ - ١٠٢٠م) الحائز على لقب شاهنشاه، سيمباد الثالث وأشود الرابع معاً (١٠٢٠ - ١٠٤٢م)، چاچيك الثاني (١٠٤٢ - ١٠٤٥م). ورغم مقاومة الملك الأخير، فقد احتلت بيزنطة أرمينية (١٠٤٥) - ١٠٧١م .

وبتأسيس المملكة الأرمنية البجرادية في عام ٨٨٥م انتهت خمسة قرون من الانقسامات واللامركزية وفقدان هيكل الدولة الواحدة . وبعد محطات صعود وهبوط وموجات مد وجزر زمن الملوك الأقوياء، كان موت الملك چاچيك الأول في عام ١٠٢٠ م، بداية الانحدار السريع للبجرادونيين وانهيار مملكتهم . بداية، أدى الصراع الداخلى إلى تقسيم المملكة بين أبناء الملك چاچيك الأول: سيمباد الثالث وأشود الرابع (١٠٢٠) - (١٠٤٢م) . وفى نفس التوقيت ، توسعت بيزنطة على حساب جيرانها الضعفاء، واستولت على جنوب غرب أرمينية . وهكذا ، انتهت في عام ١٠٤٥م آخر مملكة كبرى في أرمينية التاريخية . وقد استولى البيزنطيون على آني . وفي عام ١٠٦٤ م ، ضمت بيزنطة مملكة جارس البجرادية . ولم يبق مستقلاً سوى مملكتين جبليتين ؛ لورى (حتى (١١٠٠م) وسيونيك حتى (١١٦٦م)، وإمارة خاتشن في كاراباخ حتى عام (١٤٥٠.(

وحسب توصيف المؤرخ الأرمنى العراقى أستارچيان : أبدى ملوك بجرادوني وأمراؤهم إرادة وجلداً تجاه الظروف الصعبة التي واجهوها من الإمبراطوريتين العربية والبيزنطية فلموا شعث الأمة، واستردوا استقلالهم القومى، وأنشأوا للأمة كياناً ، وأعادوا لها شرفاً ومجداً كان مضاعاً، وفضلاً عن ذلك فقد تركوا تراثاً من المدنية والثقافة والفن إن لم يكن القوم البرابرة هدموه، فإن آثارها الماثلة حتى اليوم أمام العيون لهم خير شاهد على ما بلغته الأمة من حضارة.

وعموماً، اتسم العهد البجرادي بالرخاء والتقدم والقوة للأمة الأرمنية . وقد سعى رواد النهضة الأرمنية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر إلى الدعوة لاحتذاء النموذج البجرادى للمملكة الأرمنية. وعلى المستوى الاقتصادي، ازدهرت التجارة بين أرمينية والخلافة العباسية والإمبراطورية البيزنطية . ورغم إن البجرادونيين لم يسكوا أية عملات، فقد انتشرت المعاملات بالنقود العباسية والبيزنطية على نطاق واسع داخل المملكة الأرمنية. وقد تنوعت الطرق التجارية للمملكة بحرياً عبر البحر الأسود من ميناء طرابيزون وعبر بحر قزوين من بردعة؛ وبرياً من فان إلى بيتليس إلى الموصل، ومن دڤين إلى ناخيتشيفان . وإبان العهد البجرادى ازدهرت الصناعات الدقيقة لاسيما الأقمشة والأخشاب والأسلحة . وآنذاك، صدرت أرمينية بضائع مصنعة وفضة ونحاس وزرنيخ ومسحوق البوراكس الأبيض والملح. وصدرت السمك المجفف إلى بلاد ما بين النهرين،والصقور - كجزية - إلى البلاط العباسي، وكانت الجياد والبغال الأرمنية باهظة الثمن .

وتميزت أرمينية بالغابات ، وصدرت خشب الجوز والفراء والمنتجات الجلدية إلى بغداد. وفي تلك الأزمنة ، ثمة إقبال شديد على السجاجيد الأرمنية لاسيما المصنوعة

من صوف الماعز. وازدهرت صناعة المنسوجات في خط متواز مع صناعة الأصباغ الأرمنية . وجدير بالتسجيل أن الصبغة الحمراء النبيذية (القرمزية اشتهرت منذ القدم ، وكانت أرمينية تصنعها من القشور المجففة للحشرة والقرمزية التي تغذت على جذور نبات ينمو على مخدرات جبل أراراد . ناهيك عن إنتاج الحرير في كاراباخ (آرتساخ) وسيونيك وجنجه.

ومن المفارقات، بينما لم تتأسس المدن في أوربا إلا منذ القرن السادس عشر، تأسست المدن التجارية – الصناعية المأهولة بالسكان إبان العهد البجرادي منذ القرن التاسع الميلادى . وفى هذا المصمار، اكتظت مدينة آني – العاصمة البجرادية بالسكان والثراء العمراني. وحسب أستارچيان: يدلنا على هذا كثرة كنائسها فقد عدت ألفاً وواحدة ، وقصورها الشامخة ومعاهدها ومدارسها وأسواقها وغير ذلك» . وعلى شاكلة آني ، ثمة مدن حضرية مزدهرة من قبيل أرضروم ودڤين وأرزن وباجران وناخيتشيفان وجارس.

ويُعد العهد البجرادى أكثر عهود إنتاج العمارة الكنسية الأرمنية ثراء؛ إذ دعم الملوك البجرادونيون والأمراء وكبار التجار الأثرياء إنشاء العديد من الكنائس والأديرة في آني . وتُعتبر كاتدرائية الصليب المقدس في أغتامار من أروع المنشاءات المعمارية، وتشمل هذه الجوهرة الهندسية المعمارية تصويراً جدارياً يمثل آدم وحواء، وبشارة السيدة العذراء مريم بالمسيح ، ويوم الحساب . وثمة قطع من الخاتشكار (الصليب الحجرى المنحوت) التي بدأت في الظهور منذ القرن التاسع الميلادي.

وقد أقيمت في المملكة مبان وكنائس كثيرة ذات طابع معماري خاص في آن وجارس وبجران وأغتامار وغيرها، صممها نخبة من المهندسين الأرمن وعلى رأسهم المهندس تريداد . و آنذاك، نافست العاصمة الأرمنية آني العاصمة البيزنطية القسطنطينية ، وصارت آنى تُسمى مدينة الألف كنيسة وكنيسة. ووفقاً للمؤرخ استارچيان : يُعد الفن المعمارى فى عهد الملوك البجرادونيين خير تراث خلفته أرمينية ... فالفن المعمارى الأرمنى يُعد من أعظم مظاهر عبقرية هذا الشعب العجيب». وثمة آراء ذهبت إلى أن الفن القوطى وليد الفن الأرمني، وله تأثير على الشرق المسيحى وروسيا والقسطنطينية. وفى كلمة موجزة : يدل التراث الفني الأرمينية على حيوية الأمة الأرمنية.

وقد ظهرت في المملكة الأرمنية البجرادية مراكز علمية وثقافية . وقد أنجب العهد البجرادي عدداً من المؤرخين الأرمن المهمين مثل أريستاجيس الذي وصف العلاقات الأرمنية البيزنطية في أواخر العهد البجرادى واختتم تاريخه بوصف تفصيلى لغزو السلاجقة لأنى ومعركة ملازكرد عام ١٠٧١م . وكتب الجائليق هوفهانيس الخامس در اسنجانا جيرتسى (٨٩٨) – (٩٢٩م تاريخ أرمينية ، وكتب ستيبان التاروتى تاريخ العالم . وهناك شخصيات أخرى بارزة في مجال الأدب مثل خسروف من أندزيف الشاعر الصوفى الرائع والمفسر الديني. وثمة كتابات فلسفية للفيلسوف هوفهانيس، وقصائد شعر الصوفى كريكور ناريجاتسى مؤلف كتاب المراثى . وتُعد المخطوطات المزخرفة علامة بارزة للحقبة البجرادية، وصعود نجم المنمنمات. وخلاصة القول، استعاد البيت البجرادي استقلال المملكة الأرمنية، واستطاع إلى حد كبير موازنة الضغوطات العربية والبيزنطية والأرمنية الداخلية (النخرارز). وقدحافظ آل بجرادونى على أجزاء من أرمينية مستقلة، ومنعوا تأسيس مستوطنات عربية إسلامية رئيسية كبرى فى أرمينية .بيد أن التدخلات البيزنطية المستمرة والعنيفة قد دمرت المملكة الأرمنية البجرادية . ومن المفارقات، تضررت بيزنطة ذاتها بسقوط أرمينية؛ إذ باختفاء الحاجز الأرمني وعدم قدرة القسطنطينية على تعويض الجيوش الأرمنية،بات الطريق ممهداً أمام الأتراك السلاجقة لاختراق المنطقة.

وبذا، سقطت العاصمة أنى فى عام ١٠٦٤م، وسقطت جارسي عام ١٠٦٥م، وفي النهاية هزم السلاجقة الإمبراطورية البيزنطية في مانزكيرت (ملاز كرد) عام ١٠٧١م. وبسرعة، سقطت أرمينية التاريخية تحت الحكم التركى، ولكن استمر البجرادونيون الجورجيون فى الازدهار حتى القرن التاسع عشر.

وفي اختزال جامع مانع، وصف أستارجيان الملك أشود الأول البجرادي قائلاً : لهذا الملك صحيفة ناصعة في تاريخ الأمة الأرمنية، فقد فتح عهداً جديداً في حياة أمته ، وكان من حكامها الأفذاذ في الحكمة والفراسة والتبصر والقوة والشجاعة وحسن الخلق والذكاء ، وهو أول الملوك الذين كان أشود فريد عصره، بل كان المبدع لذلك العصر الرغيد على أمته» .

أهم المصادر والمراجع المستخدمة

-أحمد زينى دحلان : تاريخ الدول الإسلامية بالجداول المرضية ، دمشق ٢٠٠٣م.

-استار چيان : تاريخ الأمة الأرمنية ، الموصل ، ١٩٥٠.

-أرشاك بولاديان : أرمينيا والعالم العربي ، دمشق، ٢٠٠٣.

-بول إميل : تاريخ أرمينيا ، ترجمة : شكرى علاوى ، بيروت ، بدون تاريخ.

-تابسيل ر . ف : معجم الدول والأسرات الحاكمة فى العالم عبر العصور) ، الجزء الأول، ترجمة وإضافة : أحمد عبد الباسط حسن ، المركز القومى للترجمة ، القاهرة، ٢٠١١ .

-چورچ بورنوتيان : موجز تاريخ الشعب الأرمنى من العصور القديمة إلى العصور الحديثة ، ترجمة : سحر توفيق ، القاهرة ، ٢٠١٢م.

– حنا سعيد الحاج : العلاقات الإسلامية الأرمنية منذ الفتح العربي حتى اليوم ، بيروت ، ١٩٩٦م .

– عبد الرحمن محمد العبد الغنى : أرمينية وعلاقاتها السياسية بكل من البيزنطيين والمسلمين ٦٥٣ – ١٠٦٤ ، الكويت ، ١٩٨٩م.

– فؤاد حسن حافظ : تاريخ الشعب الأرمنى منذ البداية حتى اليوم ، القاهرة ، ١٩٨٦م.

– مانوئيل جينباشيان : علاقات الكنيسة بالدولة الأرمنية في حقبة الهيمنة العربية ، حلب، ٢٠٠٥م.

– مراون المدور : الأرمن عبر التاريخ ، دمشق ، ٢٠٠٩م.

– نيقولاى هوفهانيسيان : تاريخ الدول العربية ، الجزء الأول ، حلب ، ٢٠١١م.

–ويلز : موجز تاريخ العالم ، ترجمة : عبد العزيز توفيق جاويد ، القاهرة ١٩٦٧م

- Burrt, Joseph: The people of Ararat, London, ١٩٢٦.

- Hovaghimian, Berg: History of Armenia Through Maps, Cairo. ٢٠١٤.

- Lang, D.M: Armenia, Cradle of Civilization, London, ١٩٧٠.

-Yeghiayan, puzant: Heroes of Hayastan, Cairo. ١٩٩٣.

نضال المرأة الأرمنية

بقلم: رباب محمد سليمان

اشـتهرت المرأة الأرمنية بموهبتها وجمالها وشـجاعتها منذ زمن سـحيق، وإن دور المرأة لا يقدر بثمن في تشـكيل الدولة الأرمنية والثقافة والدين.

قبل قرن من الزمان، كانت هناك نسـاء أرمنيات قويات وشـجاعات لا يخشـين التحدث بصوت عالٍ، ويتحدثن بجرأة عن القضـايا العامة – من قضـايا النوع الاجتماعي إلى قضـايا الدولة. نسـاء لم يخشـين فتح مجلاتهم الخاصة وتوفير فرص عمل فيها – منصـات للتعبير – للفتيات الصغيرات. قبل قرن من الزمان، ناضلت المرأة الأرمنية من أجل حقوقها، بما في ذلك التعليم.

زابيلا أسادور – سيبيل(١٨٦٣-١٩٣٤)

زابيلا أسـادور (قبل زواجها – خانجيان)، المعروفة باسـم سـيبيل. كانت من الرائدات اللاتي حاولن حل قضـية مهمة – قضـية تعليم الفتيات في الإمبراطورية العثمانية، وكانت ناشرة وناشطة، حيث افتتحت عشرات المدارس في الإمبراطورية، وقامت بتعليم الأطفال بنفسـها وكتبت لهم عددًا من الكتب المدرسية.

ولدت عام ١٨٦٣ في منطقة سـكوتاري (أوسـكودار) في إسـطنبول، ودرسـت في المدرسـة الفرنسـية ومدرسـة الصـليب المقدس الأرمنية، وتخرجت في عام ١٨٧٩ من مدرسة سكوتاري ليسيوم.

وحتى ذلك الحين، بدأت زابيلا أسادور الكتابة، في أغلب الأحيان عن الظلم الذي تواجهه النساء في وطنها.

في نفس عام ١٨٧٩، أسـسـت الشـاعرة مع زملائها في الفصـل وبدعم من والدتها وخالتها الجمعية الوطنية للمرأة الأرمنية.



وكان الغرض من هذه المنظمة هو فتح المدارس الأرمنية للفتيات في ولايات الدولة العثمانية. ذهبت سـربوهي ألاناچيان، عمة سيبيل، شـخصـيًا إلى قصـر السـلطان للحصـول على إذن بذلك. استمر المجتمع الذي أنشأوه لمدة ٢٢ عامًا – حتى مذابح الأرمن في ١٨٩٤-١٨٩٦. وفي عام ١٩٠٨، اسـتأنفت المنظمة عملها حتى أُغلقت نهـائيًا في عـام ١٩١٥. وفي السـنوات الخمس الأولى من وجود الجمعية وحدها، تم افتتاح ٣٥ مدرسة.

كانت أسادور مهتمة بتعليم المرأة منذ صغرها، لذا بدأت على الفور في الجمع بين الكتابة والنشـاط. في عـام ١٨٧٩، كتب سـيبيل الكتاب المدرسـي "قواعد عملية للغة الأرمنية الحديثة"، والذي أصـبح فيما بعد كتابًا مدرسـيًا كلاسـيكيًا، كما نشـر مقالات عن التعليم وقصائد للأطفال. في عام ١٨٨٢، تزوجت الكاتبة من المحامي جارابيد دونيليان، وأنجب الزوجان ابنة تدعى أدرين، التي واصـلت فيما بعد عمل والدتها – وفتحت ٢٠ مدرسة أخرى للفتيات. غادرت أستور، بعد زواجها،

العاصمة إلى المحافظة: وعاشوا في بيلجيك وبورصة وأنقرة. لعدة سنوات قامت الكاتبة بالتدريس في المدارس المحلية حتى عادت إلى القسطنطينية عام ١٨٨٩.

كرَّست زابيلا أسادور عدة عقود لتطوير تعليم المرأة، وبعد ذلك واصلت ماري بيلريان وزابيل يساايان عملها . توفيت الكاتبة عن عمر يناهز ٧٠ عامًا في ١٩ يونيو ١٩٣٤ في مسقط رأسها – وكانت في ذلك الوقت في إسطنبول بالفعل.

ماري بيليريان (١٨٧٧-١٩١٥)

كانت ماري بيليريان مثالاً لآلاف النساء الأرمنيات في جميع أنحاء العالم، لكنها ظلت لسبب ما من بين المثالات الأقل شهرة للمثقفين في أرمينيا الغربية. وهي معروفة بشكل رئيسي بأنها ناشرة مجلة أرديميس (المعروفة أيضًا باسم أرتميس)، وهي أول مجلة دورية نسائية في العالم الأرمني. كتبت "أرديميس" عن قضايا حرية المرأة والمساواة وتقرير المصير والعنف المنزلي والعديد من القضايا الموضعية الأخرى.

لا يُعرف سوى القليل جدًا عن حياة ماري بيليريان. اشتهرت الكاتبة بين معاصريها بمذكراتها، لكن اسم الناشطة ومزاياها نُسي بعد الإبادة الجماعية للأرمن. ولدت بيلريان عام ١٨٧٧ في القسطنطينية. درست في مدرسة يساايان حيث بدأت التدريس فيما بعد. وبحسب بعض المصادر، واصلت تعليمها في إحدى المؤسسات في منطقة بيرا باستانبول، بينما كانت لا تزال طالبة، بدأت الكتابة للصحيفة الأرمنية "أريفيلك"، المشهورة في الإمبراطورية العثمانية، تحت اسم مستعار "كاليبسو". كان سعى بيلريان المليء بالحماس للانضمام إلى حركة التحرير الأرمنية ،وسرعان ما قررت الانضمام إلى حزب "الهنشاك".

وقرر قادته أن الكاتبة صغيرة جدًا بحيث لا يمكنها أن تصبح عضوًا في الحزب، فعيَّنوها مراسلة.

وفي عام ١٨٩٠، شاركت بيلريان في مظاهرة كوم كابو التي نظمها حزب "الهنشاك" ضد البطريركية الأرمنية. وبعد خمس سنوات، أصبحت الناشطة إحدي منظمي مظاهرة باب علي السلمية دفاعاً عن مشروع ''إصلاحات مايو''. حكمت الحكومة التركية على الكاتبة غيابياً بالإعدام؛ فهربت إلى مصر، وهناك بدأت بيليريان التدريس في مدرسة أرمنية بالإسكندرية، وفي عام ١٩٠٢ افتتحت مجلة" أردميس" الشهرية.

بعد انتفاضة تركيا الفتاة عام ١٩٠٨، عادت الكاتبة إلى الإمبراطورية العثمانية وبدأت التدريس في مدرسة البنات في سميرنا (إزميرالآن)، ثم في المدرسة الأرمنية في إيفدوكيا. واصلت بيلريان الكتابة حتى وفاتها، وتم نشر مجموعتها "Up".

اعتقدت بيليريان أن النسوية الغربية لا تتوافق مع الواقع الأرمني. في رأيها، تحتاج المرأة في أرمينيا أولاً إلى تحقيق "الحقوق الطبيعية" – الحق في إبداء الرأي، والقدرة على اتخاذ القرارات والتحكم في مصيرها بشكل مستقل. وعندها فقط تثير الأسئلة حول دورهم الاجتماعي والسياسي في البلاد. وانتقدت الكاتبة العلاقة بين الزوجين ومكانة المرأة في الأسرة، كما تحدثت بصراحة عن الحقائق القاسية للحياة اليومية للمرأة الأرمنية.

كانت الناشطة أيضًا غير راضية عن نظام التعليم، فبدلاً من إعطاء الفتيات المعرفة الحقيقية، قامت المدارس بتعليمهن العزف على البيانو والفرنسية، واقترحت الكاتبة تربية الفتيات على ألا يكن سيدات جميلات غير مهتمات بالتعليم على الإطلاق، بل أن يكن فتيات قويات ومثاليات ومستعدات لتحمل المسؤولية أمام الشعب والوطن.

بالإضافة إلى ذلك، سعت بيليريان إلى تحفيز النساء على بناء مهنة، والمجتمع للسماح لهن بالعمل.

كان الكاتب غاضبًا من أن المرأة العاملة غالبًا ما يُنظر

إليها على أنها إهانة لكرامة الرجل.
وفي الوقت نفسه لم ترفض الكاتبة الأمومة أو مؤسسة الأسرة. المرأة ليست ملزمة على الإطلاق بإعطاء الأولوية للتعليم والشهادة الأكاديمية، رأت بيليريان أن المرأة المثالية هي الشخص الذي تلقى التعليم ،وفي نفس الوقت لديه عائلة. امرأة قادرة على التعبير عن نفسها والدفاع عن حقوقها وتقديم مساهمة مجدية في تنمية الأمة. ألهمت مقالات الكاتبة الكثيرين: أصبحت "أرديميس" جزيرة صغيرة ولكنها مهمة للغاية حيث يمكن سماع صوت الجميع، وأصبحت بيليريان نموذجًا يُحتذى به وإلهامًا لآلاف النساء الأرمنيات حول العالم.

شوشانيك كورچينيان (١٨٧٦-١٩٢٧)

اليوم، يتم كتابة الأشعار على أساس قصائد شوشانيك كورچينيان ، التي أصبحت وجه الحركة النسوية الأرمنية. والآن يكتبون عنها: «الشاعرة النسوية الأرمنية»، كما كان من قبل «الشاعرة الثورية». والنسويون، وليس النقاد، هم الذين يبقون ذكراها حية: فهم يبحثون في سيرتها الذاتية، ويجدون صورها النادرة وينشرونها في المجال العام.
نشرت أولى قصائدها عام ١٨٩٩ في "طاراز"، ونشرت أول قصة قصيرة في صحيفة "أچبيور" عام ١٩٠٠. وبعد إنشاء أول مجموعة نسائية تابعة لحزب الهنشاك السياسي في چيومري، فرّت شوشانيك إلى روستوف-نا-دونو حتى تهرب من الاعتقال في النظام القيصري. نشرت أول ديوان شعر لها "رنين الفجر" عام ١٩٠٧، ترجمت إحدى قصائد هذا الديوان هي "حب النسر" إلى اللغة الإنجليزية وضُمّنت في كتب مختارات الأشعار الأرمنية عام ١٩١٧. بعد الثورة الروسية (١٩١٧)، عام ١٩٢١ عادت إلى أرمينيا السوفييتية، حيث عاشت حتى وفاتها.
طوال فترة حياتها، وأقامت شوشانيك علاقات مهمة مع الشخصيات المشهورة في عالم الفن في أرمينيا وهم ڤارتانيز بابازيان، أڤيديك إساهاكيان، هوفهانيس تومانيان وغيرهم.
كتبت شوشانيك عن العمال، ودعت إلى النضال، وتغنت به كما في "جرس القدر"، و"بجرأة إلى الأمام"، و "العمال" - القصائد الثورية للشاعرة مذكورة في جميع الموسوعات الإلكترونية الحديثة.

مقتطفات من قصيدة "العمال"

نحن قادمون، بسترات قديمة قذرة، مغطاة بالسخام، بقبعات ممزقة وشعر متسخ، معظمهم شاحبون وجائعون وحفاة، شاحب أحيانًا، ومستسلم أحيانًا، علامة واضحة على الجوع وذلك البؤس الصامت، أحيانًا بغضب لا يمكن السيطرة عليه، متشوقون للانتقام، نبدو كبارًا قبل أواننا من الألم الفظيع، مع الرغبة في الضوء والهواء النقي على وجوهنا، مع الأمل في أن نعيش يومًا ما مثل البشر، ومع جروح عميقة في قلوبنا المكسورة، نحن قادمون....
نعم، نحن قادمون، من ظلمة التعذيب والألم المنسية، والفقر والاضطهاد والعبودية، لتدمير طغيانكم، لكسر قيود العبودية، لشق طريق جديد لأشخاص مثلنا الذين يستحقون المساواة. هكذا نحن قادمون!
كان شعر شوشانيك من هذه الفترة جريء وصريح. ووصفت الصعوبات التي يواجهها أبناء الطبقة العاملة وتناولت نضالهم ضد ظروف العمل القاسية. وفي قصيدة "أطفئوا الثريات" انتقدت بشكل صارخ الأغنياء الذين يرفهون أنفسهم أمام موائد وفيرة بينما الفقراء يتضورون جوعا ويعانون ومع ذلك، فإن أحد أهم جوانب شعر كورچينيان، والذي تم إهماله إلى حد كبير على مر السنين، هو دعوتها المباشرة لحقوق المرأة وتمكينها.
إلى جانب شعرها الثوري، طالبت كورچينيان بالحرية للمرأة الأرمنية وأثارت قضايا تتعلق بالنساء العاملات والخادمات الشابات والبغايا.

في عدة قصـــائد مثل "أبكي عليك أيتها المرأة الأرمنية"، و"الخياطة"، و"كزهرة مايو الرقيقة"، اشتكت شوشانيك من الهياكل الاجتماعية والأدوار الراســخة للمرأة داخل الأسـرة؛ دافعت عن النسـاء الأرمنيات وشـجعتهن على النضال من أجل حقوقهن وكسر التقاليد الأبوية.

مقتطفات من قصيدة "أبكيك أيتها المرأة الأرمنية"

لا أعرف كيف أبكي، لكنني كثيرًا ما أبكي عليك، أيتها المرأة الأرمنية، على حياتك البائسة من العبودية، ونصيبك وحالتك، وصـبرك الذي تحول إلى ذهول، وروحك النائمة هي جرحي، وألمي. هل سمعتم أيها الرجال القساة الأغنية التهويدة التي تغنيها المرأة الأرمنية وهي تهز طفلها على ركبتيها؟ من المؤكد أن هذه الأغنية هي تعبير صامت عن الألم العضـال الناجم عن حياة غير طبيعية. هذه الأغنية، في بيوت الأغنياء والفقراء، هي قداس كئيب لذكريات مدفونة، إيقاع متناغم مصـحوب بدموع تضـعف بريق الخدود الشابة.

وقصـيدة "أريد أن أعيش" من أقوى قصـائد كورچينيان، وهي مثال آخر على كفاحها من أجل المســاواة. وهنا، تعرب بلا خوف عن رغبتها في الوقوف بجانب الرجال على قدم المساواة وتطالب بالتعبير عن نفسها بحرية دون أن ينتقدها المجتمع.

أريـد أن أعيش - ولكن ليس حياة مترفة محاصــرة في الغموض - غير مبالٍ وحمقاء، ولا رهينة تامة للجمال الاصـطناعي، أو مخلوقًا ضـعيفًا - رقيقًا وضـعيفًا، ولكن مســاوٍ لكم - أيها الرجال - مزدهرون مثلكم - قويون وقويون.

عنيد — قادر على مواجهة المصــائب — بارع في العقل، ذو أجساد مليئة بالقوة.

أريد أن أحب - بلا تحفظ - دون قناع- عنيد مثلك - حتى عندما أحب، أســتطيع أن أغني مشــاعري للعالم وأحرر قلبي - قلـب المرأة، أمـام الحشـــود؟ متجـاهلاً أحكامهم الصـارمة بدرعي ودمر السـهام المدببة الموجهة نحوي بكل حيويتي غير المقيدة! أريد أن أتصـرف — على قدم المســاواة — بجوارك —كعضــو مخلص في الشـعب، دعني أعـاني مرارًا وتكرارًا — ليلًا أو نهـارًا — أتجول من مكان إلى آخر — أكافح دائمًا من أجل الحرية المثالية؟ ودع هذا العبء يعذبني. في منفاي، لو كان لي هدف في هذه الحياة. أريد أن آكل بشــكل مريح - كما تفعل أنت، من نفس الخبز الجميل - الذي بذلت من أجله نصـيبي من العمل المقدس؛ في النضـال من أجل البقاء - متواضـعًا ووديعًا، دون أن أشـعر بالخجل - دعني أذرف العرق والدموع من أجل الكسب المبارك، دع الدم القرمزي يتدفق من يدي عاملي، وأدع ظهري يتعب من الألم! أريد أن أقاتل — أولاً كمنافس لك، وأقف ضدك بانتقام قديم، لأنك حولتني



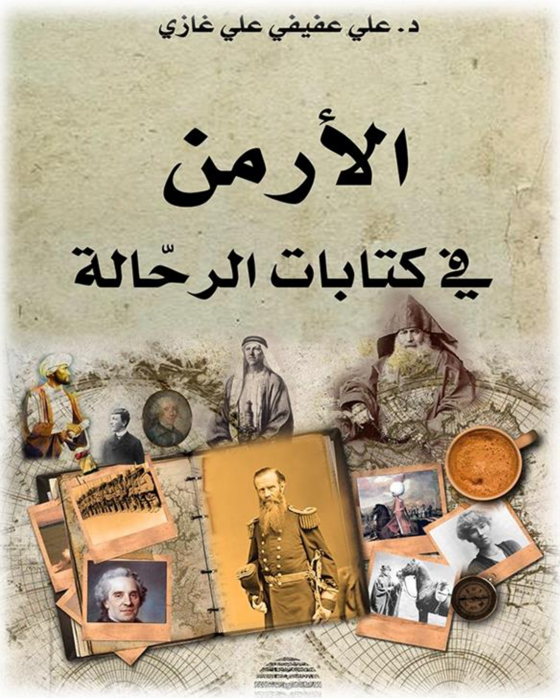






الأرمن في كتابات الرحالة

عرض: أسماء محمود
دار الوثائق القومية



صـــدر عن دار النهضـــة العربية ببيروت بدولة لبنان، كتاب "الأرمن في كتابات الرحالة" في ٣٩٣ صـــفحة، للدكتور علي عفيفي علي غازي، وهو باحث متخصص في تاريخ شـــبه الجزيرة العربية والخليج والعراق الحديث والمعاصـــر، وتتركز اهتماماته البحثية حول كتابات الرحالة الغربيين عن العالم العربي، وهو باحث تستشرف به مكتبة الدراســـات التاريخية الخليجية باحثًا جادًا، حاصـــلاً على الماجســـتير بتقدير ممتاز عن أطروحته المعنونة "أثر الصـــراع المصـــري العثماني في الجزيرة العربية والشـــام على العراق ١٨٣١- ١٨٤١"، والـدكتوراه في تاريخ الخليج والعراق بمرتبة الشـــرف الأولى في موضـــوع "رؤية الرحالة لقيم وعادات عشائر العراق ١٨٠٠- ١٩٥٨".

أسهم في عدد من الندوات والمؤتمرات بالمشاركة أو الحضور أو التنظيم. ومنشـــور الكثير من المقـالات في التـاريخ والتراث والآداب والفـنون والخط العـربي، في المجلات والصـــحف العربية والعالمية. وحصـــل على العديد من شهادات التقدير.

يُســـلِّط الكتاب الضـــوء على ما ذكره الرحالة الغربيين، الـذين مروا بالعراق والجزيرة العربيـة والخليج عن الأرمن، ويســـتهل بمقدمة تبين أهمية كتابات الرحالة كمصـــدر تاريخي، ثم علاقة الأرمن بالمشرق العربي، ودورهم في تاريخ المنطقة منذ عصـــور ما قبل التاريخ وحتى ما قبل التاريخ الحـديث، فعرّف بـدور الأرمن في تاريخ لبنـان، واليمن، ومصـــر. ثم تناول جذور الوجود الأرمني في العراق، ودور الأرمن في تاريخ العراق في العصـور الوسـطى والحديثة، ثم دورهم في الحياة الاقتصـــادية في العراق الحديث، وتجارة البصـرة.ويسـلط الضـوء على نموذج أرمني في بغداد، هو سارة خاتون ودورها في الحياة العراقية، اجتماعيًا واقتصاديًا وسـياسـيًا، ودبلوماسـيًا، ثم يسـتعرض الأرمن في كتابات رحـالـة أوروبيون في العراق: فيـدريجي، فيليـب الكرملي، جون تيلور، جون آشـــر، تنكو أنيهولت، كييوم لجان، ثم أرمن بغـداد بأقلام رحـالـة: كـارســـتن نيبور، أوليفييـه، بكنجهـام، بيري فوك، ثم الأرمن في كـتـابات الرحـالـة ليونهـارت راوولف، ودي مورس، وجيمس بيلي فريزر،

ودليل لوريمر، ورحلة آن بلنت، ورســـائل جيرتروود بيل، وكلوديوس جيمس ريج، وســـتيفن همســـلي لونكريك، ومــاكس فون أوبنهــايم، ووليم جيفورد بالجريف، وجون لويس بوركهــارت، والليــدي درور، وجوناثان رانــدل، والأرمن في مجلة لغة العرب.

ويختتم الكتاب بترجمات لبعض المقالات المنشورة في بعض الدوريات عن الأرمن والمســـألة الأرمنية، المقالة الأولى، الأرمن في المجتمع البريطـاني، الإبادة الجمـاعيـة الأرمنيـة، ســياســة الحرمان والعدل والإبادة الجماعية المنســية، لمحة تاريخية عن الإبادة الجماعية الأرمنية، والأرشــيف العثماني والإبادة الجماعية الأرمنية، ويعتبر الأول في موضـــوعه، الـذي يتنـاول مـا ورد عن الأرمن في كتـابات الرحـالـة، ودورهم الاقتصــادي والاجتماعي والثقافي والحرفي بالمنطقة العربية، ويتطرق لما تعرضوا له من مذابح على يدي الأتراك العثمـانيين، ومن ثم يعتبر إضـــافة قيمة للمكتبة العربية عامة، ومكتبة الدراســات الأرمنية بخاصــة. ويعتبر الكتاب الأول في موضـــوعه، حيث يتناول مـا ورد عن الأرمن في كتـابات الرحـالـة، ودورهم الاقتصــــادي والاجتماعي والثقافي والحرفي بالمنطقة العربية، ويتطرق لما تعرضـوا له من مذابح على يدي الأتراك العثمانيين.

والكتاب غير مقســـم إلى فصـــول، وإنما عناوين متتالية متتابعة كالتالي: المقدمة، التمهيد، جذور الوجود الأرمني في العراق، الأرمن والحياة الاقتصــادية في العراق الحديث، ســارة خاتون ودورها في الحياة العراقية، الأرمن في كتابات رحالة أوربيين في العراق، أرمن بغداد بأقلام رحالة، الأرمن في رحلة ليونهاردت راوولف، الأرمن في رحلة دي موريس، الأرمن في رحلـة جيمس بيلي فريزر، الأرمن في مـذكرات لوريمر، الأرمن في رحلـة آن بلنـت، الأرمن في رســـائـل جيرتروود بيـل، الأرمن في رحلـة كلوديوس جيمس ريج، الأرمن في كتابات ســـتيفن همســـلي لونكريك، الأرمن في كتابات الرحـالـة مـاكس فون أوبنهـايم، الأرمن في رحلـة وليم جيفورد بالجريف، الأرمن في رحلــة جون لويس بوركهـارت، الأرمن في كتـابات الليـدي درور، الأرمن في كتـابات جوناثان رانـدل، الأرمن في مجلـة لغـة العرب، الأرمن في المجتمع البريطـاني، الإبادة الجمـاعيـة الأرمنيـة، ســياســة الحرمان والعدل والإبادة الجماعية المنســية، لمحة تاريخية عن الإبادة الجماعية الأرمنية، الأرشــيف العثماني والإبادة الجمـاعيـة الأرمنيـة، المســـألـة الأرمنيـة في مقـالي يعقوب الإبراهيم.





بصمات ثقافية غنية وتراث فني رائع

بقلم: جاكلين جرجس

في أعماق التاريخ، حيث تتلاقى الحضارات وتتشابك الثقافات، تبرز الثقافة الأرمنية كلوحة فنية متعددة الألوان، تجمع بين الأصالة والابتكار، والتراث والحداثة. أرمينيا، تلك الدولة الجبلية الواقعة في منطقة القوقاز، تُعد واحدة من أقدم الحضارات في العالم، حيث تمتد جذورها إلى آلاف السنين. من خلال تاريخها الغني والمليء بالأحداث، استطاعت الثقافة الأرمنية أن تُحافظ على هويتها الفريدة، وأن تُسهم بشكل كبير في التراث الإنساني، تاريخ أرمينيا يمتد لآلاف السنين، حيث شهدت هذه الأرض العديد من الأحداث الهامة التي أثرت بشكل كبير على مسار التاريخ الإنساني. من الإمبراطورية الأرمنية القديمة إلى الفتوحات الإسلامية والبيزنطية، مرورًا بالحروب العالمية والصراعات الإقليمية، استطاعت أرمينيا أن تحتفظ بهويتها الثقافية الفريدة. هذه الهوية، التي تم تشكيلها عبر العصور، تُعد اليوم جزءًا حيويًا من التراث الإنساني. نجد أن الحياة الثقافية في أرمينيا أعتمدت على مختلف أنواع الفنون مثل:

الفن والعمارة:

تُعتبر العمارة الأرمنية من أبرز المعالم الثقافية في أرمينيا. تتميز الكنائس والأديرة الأرمنية بتصاميمها الفريدة وزخارفها الغنية، مما يعكس التاريخ الديني الغني للبلاد. من أبرز المعالم الأثرية كنيسة إتشميادزين، التي تُعتبر أقدم كنيسة في العالم وأحد أهم المراكز الدينية للأرمن.



الأدب:

الأدب الأرمني غني ومتنوع، ويشمل أعمالًا تاريخية وأدبية وفلسفية. من أبرز الشخصيات الأدبية الأرمنية الشاعر يغيشه تشارينتس، الذي يُعتبر أحد أعظم شعراء أرمينيا في القرن العشرين. أعماله تعكس التاريخ والثقافة الأرمنية بعمق.

الموسيقى والرقص:

الموسيقى الأرمنية تتميز بتنوعها وتأثيراتها المختلفة، من الموسيقى الكلاسيكية إلى الموسيقى الشعبية. كما أن الرقص الأرمني يمتاز بحركاته الديناميكية وزخارفه الملونة، مما يعكس الروح والتراث الأرمني.

فيما انعكست الثقافة الأرمنية على مصر و المجتمع المصري التي كانت و لاتزال شاهدة على أهمية التراث الثقافي الأرمني حيث أن الجالية الأرمنية في مصر تُعد

الثقافي الأرمني حيث أن الجالية الأرمنية في مصر تُعد واحدة من أقدم وأهم الجاليات الأجنبية في البلاد، و تعود الجذور التاريخية للجالية الأرمنية في مصر إلى العصور الوسطى، حيث بدأ الأرمن في الهجرة إلى مصر لأسباب اقتصادية وسياسية. خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين،و شهدت الجالية الأرمنية في مصر نموًا كبيرًا، خاصة بعد مذابح الأرمن في الدولة العثمانية ؛ ليشمل مختلف جوانب الحياة الثقافية. في مجال الفن، برز العديد من الفنانين الأرمن الذين ساهموا في تطوير المشهد الفني المصري. بالإضافة إلى ذلك، كان للأرمن دور مهم في مجال التجارة والصناعة، حيث أسسوا العديد من الشركات والمصانع التي ساهمت في تعزيز الاقتصاد المصري ؛ كذلك كان للكنائس و المدارس الأرمنية دور بارز فى الثقافة المصرية حيث لعبت دورًا بارزًا في مختلف المجالات بداية من المجالات الثقافية والاقتصادية حتى الفنية وصولًا إلى النشاط التجاري ، تركت هذه الجالية بصماتها على المشهد المصري، مما يجعل من الضروري تسليط الضوء على إرثها الثقافي الغني.

تأثير الأرمن في الحياة الثقافية المصرية:

الكنائس والمدارس الأرمنية: معالم ثقافية وروحية

تُعتبر الكنائس الأرمنية في مصر من أبرز المعالم الثقافية والدينية التي تُعبر عن هوية الجالية الأرمنية. هذه الكنائس لم تكن فقط أماكن للعبادة، بل كانت أيضًا مراكز للتعليم والنشاط الثقافي. بالإضافة إلى ذلك، أسست الجالية الأرمنية العديد من المدارس التي تُعنى بتعليم اللغة الأرمنية والتاريخ والثقافة الأرمنية للأجيال الجديدة، مما ساهم في الحفاظ على الهوية الثقافية لهذه الجالية.

المساهمة الثقافية:

لعبت الجالية الأرمنية في مصر دورًا مهمًا في الحياة الثقافية المصرية. في مجال الفن، برز العديد من الفنانين الأرمن الذين ساهموا في تطوير المشهد الفني المصري.

من أبرز الأسماء الفنانة فيروز، التي ولدت في القاهرة لأبوين أرمنيين، وأصبحت واحدة من أشهر الفنانات في العالم العربي.

التعليم والاقتصاد:

بشكل عام، ساهم الأرمن في تنمية الاقتصاد المصري وتطويره، وتركت مساهماتهم بصمة واضحة في مختلف القطاعات الاقتصادية في مصر.الأرمن في مصر كانوا معروفين بتفوقهم في مجالات التعليم والتجارة. في المجال الاقتصادي، برع الأرمن في التجارة والصناعة، وساهموا في تطوير الاقتصاد المصري بأكثر من مجال.

١ .التجارة: كان للأرمن دور كبير في التجارة المصرية، خاصة في مجال تجارة الحرير والمنسوجات والتوابل. أقاموا شبكات تجارية واسعة في مصر والمنطقة.

٢ .الصناعة: ساهم الأرمن في تطوير الصناعة في مصر، خاصة في مجال النسيج والملابس والصناعات الغذائية. أقاموا العديد من المصانع والشركات الصناعية في مصر.

٣ .المال والأعمال: كان للأرمن دور هام في القطاع المالي والمصرفي في مصر. أقاموا العديد من البنوك والمؤسسات المالية، وساهموا في تمويل المشاريع الاقتصادية في مصر.

٤ .السياحة: ساهم الأرمن في تطوير قطاع السياحة في مصر، خاصة من خلال إقامة الفنادق والشركات السياحية.

٥ .المهن الحرة: كان للأرمن وجود قوي في المهن الحرة مثل الطب والهندسة والتصوير الفوتوغرافي والسينما. ساهموا في تطوير هذه المجالات في مصر.

أيضًا كان هناك تفاعل ثقافي متبادل بين أرمينيا ومصر: شهدت أرمينيا ومصر تفاعلات ثقافية متبادلة على مصر العصور يمكن رؤية هذه التأثيرات في الفن والعمارة، حيث تأثرت العمارة الأرمنية بالعناصر الإسلامية والمصرية في بعض الأحيان. كما أن هناك تأثيرات في الأدب والموسيقى، حيث تبادلت الثقافتان الأفكار والإبداعات.

العلاقات الحديثة:

اليوم، تتواصل العلاقات الثقافية بين أرمينيا ومصر من خلال التبادل الثقافي والفني. تُقام العديد من الفعاليات الثقافية الأرمنية في مصر، وتشهد العلاقات الدبلوماسية بين البلدين تعاونًا في مختلف المجالات.

الحياة الثقافية في أرمينيا والجالية الأرمنية في مصر تعكسان تنوعًا ثقافيًا غنيًا وتاريخًا عميقًا. من خلال الفن والأدب والموسيقى، تُظهر أرمينيا ثقافة فريدة تعكس تأثيراتها التاريخية والجغرافية و من هنا لا يمكننا إغفال الدور الفنى و المحوري الهام للصرح الفنى الكبير لـ"ستوديو ناصيبيان " الذى ترك بصمة فنية عظيمة في تاريخ مصر السينمائي.

ستوديو ناصيبيان: بصمة فنية في تاريخ السينما المصرية:

في قلب القاهرة، وعلى مر العقود، ظل ستوديو ناصيبيان علامة فارقة في المشهد الفني المصري. هذا الاستوديو، الذي أسسه الأخوة الأرمن ناصيبيان، لم يكن مجرد مكان لالتقاط الصور، بل كان ملتقى للفنانين والمثقفين والشخصيات العامة، حيث التُقطت العديد من الصور التاريخية التي أصبحت جزءًا من ذاكرة مصر الثقافية.

و هو إحدى أبرز المعالم الثقافية التي أسسها الأرمن في مصر ، استوديو ناصيبيان، كان يُعتبر ثاني أقدم استوديو سينمائي في مصر كان هذا الاستوديو واحدًا من أهم مراكز الإنتاج السينمائي في مصر، حيث تم إنتاج العديد من الأفلام الكلاسيكية التي أصبحت جزءًا من ذاكرة السينما المصرية. أفلام مثل "دعاء الكروان" و"باب الحديد" و"في بيتنا رجل" وغيرها الكثير، تم تصويرها وإنتاجها في هذا الاستوديو، مما يعكس الدور الكبير الذي لعبه في تشكيل المشهد السينمائي المصري.

تأسس ستوديو ناصيبيان في عام ١٩٣٥ على يد الأخوين أرشاك ونيكولا ناصيبيان، اللذين كانا من أبرز المصورين الأرمن في مصر آنذاك. بدأ الاستوديو في حي الأزبكية، مركز الحياة الفنية والثقافية في القاهرة، حيث جذب بسرعة نخبة من المشاهير والفنانين الذين كانوا يبحثون عن توثيق لحظاتهم الفنية والشخصية.

النجاح والتأثير:

سرعان ما أصبح ستوديو ناصيبيان واحدًا من أهم مراكز التصوير الفوتوغرافي في مصر. كان المصورون الأرمن يُعرفون بمهاراتهم الفنية العالية والتزامهم بالتفاصيل، مما جعل صورهم تتميز بالجودة والإبداع. التُقطت في هذا الاستوديو صورًا للعديد من الشخصيات البارزة، من الفنانين أمثال أم كلثوم وعبد الحليم حافظ، إلى السياسيين والكتاب والمفكرين.

التراث الفني:

بمرور السنوات، أصبح ستوديو ناصيبيان ليس فقط مكانًا للتصوير، بل أيضًا جزءًا من التراث الفني المصري. الصور التي التُقطت داخل جدرانه أصبحت مرجعًا هامًا للمؤرخين والباحثين في مجالات الفن والموسيقى والسياسة. هذه الصور تحكي قصة مصر في فترة زمنية معينة، وتعكس تطورات المجتمع والثقافة في تلك الحقبة.

الاستمرارية والتحديات:

رغم التحديات التي واجهها ستوديو ناصيبيان على مر السنين، بما في ذلك التغيرات السياسية والاقتصادية التي شهدتها مصر، إلا أنه تمكن من الحفاظ على مكانته كأحد أهم الاستوديوهات في المنطقة. بفضل جهود الأخوة ناصيبيان وأبنائهم، استمر الاستوديو في تقديم خدماته الفنية إلى الجيل الجديد من الفنانين والمشاهير.

الإرث والتأثير المستمر :يظل ستوديو ناصيبيان رمزًا للجودة والإبداع في مجال التصوير الفوتوغرافي. الصور التي التُقطت فيه لا تُعد وثائق تاريخية فحسب، بل هي أيضًا أعمال فنية تُعرض في المعارض والمؤسسات الثقافية. يمثل الاستوديو جزءًا حيويًا من ذاكرة مصر البصرية، ويشهد على التأثير الكبير الذي يمكن أن تتركه عائلة واحدة في المشهد الفني والثقافي لبلد بأكمله.

التاريخ الفني لاستوديو ناصيبيان:

– أنتج الاستوديو حوالي ١٥٠ فيلمًا، أولها كان "الدكتور" في عام ١٩٣٩.

– من أبرز الأفلام التي تم إنتاجها في الاستوديو: "دعاء الكروان"، "باب الحديد"، "في بيتنا رجل"، "المراهقات"، "الخيط الرفيع"، و"شفيقة ومتولي."

– كانت فترة نهاية الحرب العالمية الثانية حتى ثورة يوليو ١٩٤٥-١٩٥٢ هي الأكثر ازدهارًا للاستوديو.

ما حدث لاستوديو ناصيبيان مؤخرًا:

في ٣٠ أكتوبر ٢٠٢١، احترق جزء كبير من الاستوديو، وتحول جزء كبير منه إلى مسرح ستوديو ناصيبيان ، الاستوديو الآن أصبح مسرحًا يقدم عروضًا فنية متنوعة.

رغم النجاح الكبير الذي حققه استوديو ناصيبيان، إلا أنه واجه العديد من التحديات على مر السنين.

بعد ثورة يوليو، باع هرانت ناصيبيان الاستوديو وهاجر من مصر. الاستوديو كان يؤجر لفترات طويلة حتى اشترته الرهبنة اليسوعية وجمعية النهضة العلمية والثقافية.

الحريق والترميم:

بعد الحريق، تم ترميم الاستوديو وافتتح كمسرح في ١٨ مايو ٢٠٢٤، ليعود مرة أخرى إلى الحياة الفنية والثقافية في مصر على يد الرهبنة اليسوعية وجمعية النهضة العلمية والثقافية.

استوديو ناصيبيان ليس مجرد مكان لتسجيل اللحظات، بل هو شاهد على تاريخ وثقافة مصر. من خلال عدسات مصوريه الموهوبين، تم توثيق العديد من اللحظات التي شكلت جزءًا من تاريخ مصر الحديث. يظل الاستوديو مصدر إلهام للجيل الجديد من المصورين والفنانين، ويُعد رمزًا للتميز والاحترافية في مجال التصوير الفوتوغرافي والسينما.

نجد أن النهضة الثقافية الأرمنية في مصر كانت تجربة فريدة ومميزة، حيث ساهم الأرمن في إثراء المشهد الثقافي المصري بفضل إبداعاتهم الفنية والأدبية والفوتوغرافية.

ستوديو ناصيبيان، الذي كان واحدًا من أهم مراكز التصوير الفوتوغرافي في مصر، يظل شاهدًا على هذه النهضة الثقافية الغنية.

من خلال الفن والثقافة، استطاع الأرمن أن يتركوا بصماتهم على المشهد الثقافي المصري، وأن يساهموا في تعزيز التبادل الثقافي بين مصر وأرمينيا. النهضة الثقافية الأرمنية في مصر تُعد نموذجًا رائعًا للتعاون الثقافي والتبادل الفني بين الشعوب، وتُظهر أهمية الحفاظ على التراث الثقافي وتعزيز التبادل الثقافي بين الدول.

في النهاية، يظل إرث النهضة الثقافية الأرمنية في مصر غنيًا ومتنوعًا، ويشهد على الدور الكبير الذي لعبه الأرمن في تشكيل المشهد الثقافي المصري. إن هذا الإرث الثقافي الغني يبقى مصدر إلهام للجيل الجديد من الفنانين والمثقفين، ويُعد شاهدًا على أهمية التبادل الثقافي والتعاون بين الشعوب .







حوار مع سعادة الدكتور: هراير چبه چيان
الأرمن في قبرص

أجرى الحوار: عطا درغام

الجالية الأرمنية في قبرص حاضـــرة منذ أكثر من ١٥٠٠ عام، وقد شهدت على مر القرون صعودًا وهبوطًا، لكنها تمسكت بصيرورة الاستمرارية، متأثرةً بالتطورات السياسية المحلية والدولية أو المصـــالح التجارية. تحدثتُ مجلة "أريك" مع الـدكتور هراير چبـه چيـان ، المقيم في قبرص منـذ ٢٠٠٥، عندما نقل مكتب جمعية دار المقدس من بيروت إلي نيقوســـيا، حيث يعمل مديرًا لجمعي الكتاب المقدس في دول الخليج العربي، ومركزها الرئيسي في نيقوسيا ويعمل أيضًـــا مســـئولًا للجمعية في الخليج العربي، لكن إقامته بقبرص، وكل نشـاطات الجمعية في الخليج العربي. وكأرمني مقيم في قبرص لديه نشـــاطات بارزة في الجالية الأرمنية. ومن سـنة ٢٠٠٥ هو المسـئول عن نشـاطات الكنيسـة الإنجيلية الأرمنية، وبنفس الوقت يقدم البرامج الروحية من خلال إذاعـة الراديو عبر البرنامج الأرمني في الإذاعـة القبرصـية الرسمية. كما شـارك في العديد من النشـاطات الاجتماعية والثقافية والدينية في قبرص، وتعاون مع هيئات اجتماعية ودينية وحزبية وسـياسـية في نيقوسـيا في قبرص. وقد التقت "أريك" تلك المناســبة ليحدثنا عن الجالية الأرمنية في قبرص وأبرز النشاطات التي تقوم بها.

- حدثنا عن بداية الوجود الأرمني في قبرص...؟

بـدأ الوجود الأرمني في قبرص في العهـد البيزنطي، بـداية من ســنـة ٥٧٢ بعـد الميلاد لســنـة ١١٩٣م، بحسب المؤرخين.



والوجود الأرمني بدأ في القرن السادس الميلادي مع حرب البيزنطيين مع مملكة فارس،حيث عاش هناك عشرة آلاف أرمني منهم ٣٣٥٠ أرمني في قبرص. والعهد الثاني الذي يُسـمي "العهد اللاتيني" من سـنة ١١٩٣ إلي ١٥٧٠م، وتأســست مملكة سـيليسـا في هذا العهد، حيث كانت هناك علاقات وثيقة بين قبرص و"مملكة سيليسيا"،وجدر بالذكر أن آخر ملك لســيســيليا كان قبرصـيا من بيت لوسينيان (ليفون لوسينيان)..وبعد سقوط "سيليسيا" سنة ١٣٧٥م، ترك كثير من الأرمن "ســيســيليا" واســتقروا بقبرص، وحسب الإحصاء لجأ حوالي ٣٠ ألف أرمني إلي قبرص ســنة ١٤٠٣م. وفي العهـد العثماني في قبرص (١٥٧٠-١٨٧٨م) استقر بقبرص حوالي ٤٠ ألف أرمني في عدة اختصاصات كعمال. وفي الفترة الأخيرة في العهد البريطاني(١٨٧٨-١٩٦٠م) وأثناء المذابح سنة ١٩١٥م لجأ عشرة آلاف أرمني إلي قبرص.

متي بدأت الهجرات الأرمنية إلي قبرص، ولماذا قبرص بالتحديد؟

بدأت الهجرات من القرن السادس الميلادي وإلي آخر فترة، استمرت أثناء مذابح أضنة ١٩٠٩م، والإبادة الكبري ١٩١٥م. ولماذا قبرص ، خاصة بعد المذابح تم تهجير الأرمن وانتشروا في جميع أنحاء العالم، وكانت قبرص من أهم المحطات التي لجأ إليها الأرمن.

ما أهم المناطق التي تشهد تجمعات الأرمن في قبرص؟

مع اضطراب الأحداث في الشرق الأوسط وعدم الاستقرار، وصل الأرمن إلي قبرص عام ١٩٧٥م بعد الحروب، ومن سوريا في عدة مراحل من القرن السادس الميلادي مرورًا بالقرون الوسطي والتاسع عشر والعشرين، وآخر العهد السبعينيات حتي الآن. وأهم التجمعات التي تشهدها قبرص في نيقوسيا ولارنكا وليماسول وبانوس، وعبر التاريخ كانت هناك فيما جوستا.

كم يبلغ عدد الأرمن في قبرص؟

حسب الإحصاءات في قبرص، تقريباً خمسة آلاف أرمني موجودون في قبرص ويعيشون كمجتمع أرمني.

ما الذي ساعد علي توطين الأرمن في قبرص؟

تتميز الجالية الأرمنية بالعديد من الامتيازات في قبرص؛ لأن المجتمع الأرمني واحد من مجتمعات الأقليات في قبرص مع المجتمعين اللاتيني والماروني.

وفي عام ١٩٦٠م، وبعد حصول قبرص علي استقلالها من الحكومة البريطانية، تأسست حسب الدستور القبرصي ثلاث أقليات دينية)الأرمن واللاتين والمارون)، حيث تتمتع الجالية الأرمنية مع الجاليتين بامتيازات مع مساعدة الحكومة القبرصية في النشاطات المختلفة للجالية الأرمنية (الدينية- التربوية- الثقافية) التي تعترف بالمجتمع الأرمني الذي يعد من الأقليات المعترف بها من الحكومة القبرصية.

حدثنا عن الكنيسة الأرمنية في قبرص ؟

بدأت الكنيسة الأرمنية في قبرص في القرون الوسطي، واليوم عندنا الكنيسة الأرثوذكسية الأرمنية التابعة للكاثليكوس في سيسليا التي مركزها بيروت(أنطلياس)، وكنيسة في نيقوسيا، وكنيسة في لارنكا، وكنيسة في ليماسول، وخدمة الكنيسة الإنجيلية التي تأسست في عشرينيات القرن الماضي حتي سنة ١٩٧٥م. وفي سنة١٩٧٤م تأسست الكنيسة في نيقوسيا، وبعد الاجتياح التركي هجرأعضاء الكنيسة إلي قسم نيقوسيا اليونانية.

ماذا عن ممارسات الشعائر الدينية للأرمن في قبرص؟

يمارس الأرمن شعائرهم الدينية في أعياد الميلاد، وعيد الفصح وكذلك يمارس الأرمن الشعائر الدينية في أعياد الجالية الأرمنية في كنائسهم الخاصة في قبرص.

هل يجد الأرمن حرية في ممارسة الشعائر الدينية في قبرص؟

قبرص عضو في الاتحاد الأوربي، وبالطبع هناك حرية في ممارسة الشعائر الدينية، وليس هناك تشنجات أو تحديات في ممارسة هذه الشعائر.

حدثنا عن التعليم والمدارس الأرمنية في قبرص

هناك مدارس أرمنية متوسطة في قبرص في نيقوسيا وليماسول، ومدارس حكومية للجالية الأرمنية، وتدعمها وتمولها الحكومة القبرصية، وكذا يتابعون مناهج التعليم القبرصي وكذلك الامتحانات الرسمية سواء أكان التعليم الأرمني أو التاريخ أو اللغة أو الكتاب المقدس.والمنهج التعليمي منهج قبرصي، والأرمن يتعلمون بجانب المنهج القرصي اللغة الأرمنية والتاريخ الأرمني والكتاب المقدس. والأرمن في قبرص لهم مدارسهم الخاصة واسمها (الناريك) واحدة في نيقوسيا وأخري في لارنكا، ويلتحق الأرمن بالقسم المتوسط ثم الثانوية، ثم المدارس الخاصة حتي الجامعات. وهناك حرية لمن يريد الالتحاق بمدارس غير أرمنية.

ماذا عن اللغة الأرمنية؟ وما اللغات التي يتعامل بها الأرمن في قبرص؟

باعتبار الأرمن من الأقليات المعترف بها في قبرص، فهم يتعلمون لغتهم ويتحدثون بها ويحافظون علي ثقافتهم ولغتهم وتاريخهم. وتشجع الحكومة القبرصية الجالية الأرمنية في الحفاظ علي كل ذلك(لغتهم وثقافتهم وإيمانهم). وهذا من الامتيازات التي تتمتع بها الجالية الأرمنية في قبرص بتشجيع الحكومة القبرصية في الحفاظ علي الثقافة والإيمان واللغة والتاريخ، وبجانب اللغة الأرمنية، فإن الأرمن في قبرص يتعاملون باللغتين الإنجليزية واليونانية.

هل هناك منظمات وجمعيات وأحزاب أرمنية مارس نشاطاتها في المجتمع الأرمني في قبرص؟

هناك منظمات وجمعيات تقوم بنشاطات ثقافية ورياضية. فمثلًا مجموعات(الأيمة) في مؤسسة الشبيبة الأرمنية، والجمعية الثقافية الأرمنية تسمي (جمعية الثقافة الأرمنية للمؤسسات الخيرية)، تقوم بعدة نشاطات من خلال تدعيم الحكومة القبرصية لهذه المؤسسات والجمعيات في مختلف الأنشطة الثقافية والرياضية، وهذه. وهناك ثلاثة أحزاب أرمنية تمارس نشاطها السياسي عبر أحزاب (الرامجافار- الطاشناق- الهنشاك).

حدثنا عن العمل السياسي للأرمن في قبرص؟ وما أهم مظاهر هذا العمل؟

حسب الدستور القبرصي هناك ممثلون للأقليات والجاليات التي يمثلونها في البرلمان القبرصي، فكل جالية وأقلية دينية لها ممثل ينتخبه الجاليات والأقليات، لكن ليس له الحق في التصويت. ومن خلال هذا المجال تمارس الجالية الأرمنية نشاطها السياسي من خلال هذا الممثل للجالية في البرلمان القبرصي.

ما الأعياد والمناسبات التي يحتفل بهاالأرمن في قبرص...؟

مثل أي طائفة مسيحية لها أعيادها . فمثلا: عيد الميلاد للجالية الأرمنية في السادس من يناير مع الروزنامة، وكذلك عيد الفصح بالروزنامة الغربية، ولدينا إحياء ذكري ٢٤ نيسان (أبريل) ١٩١٥ للمذابح الأرمنية التي ارتكبها العثمانيون، وذكري الشهيد فارتان الذي حارب ضد الفارسيين وحافظ علي الإيمان المسيحي. كما يعتبر عيد الفارتان واحد من الأعياد الأرمنية، وفي كل عيد فارتان يكون هناك قداس وغيرها مثل أي طقوس وأعياد مسيحية يمارسها الأرمن في كنائسهم.

ماذا عن عادات الأرمن القبارصة؟ وهل تختلف عن عادات القبارصة ؟ وما هي أهم العوامل التي حافظت علي العادات والتقاليد الأرمنية في قبرص؟

هناك العادات الأرمنية للأرمن القبارصة التي تختلف عن القبارصة، ولهم ثقافتهم وتقاليدهم وعاداتهم في كل أنحاء العالم، وخصوصًا قبرص يحبون المحافظة علي هذه الأصول، ولا ننسي أن الشعب الأرمني مر بفترة تاريخية صعبة بعد مذابح العثمانيين في ١٩٠٩ و١٩١٥، وذبح أكثر من مليون ونصف أرمني، وتهجير أعداد كبيرة تركوا موطنهم، فصاروا بالمهجر مما دفعهم إلي الحفاظ علي اللغة والتقاليد. كذلك الأرمن القبارصة نفس الشيء للحفاظ علي التراث والتقاليد بدعم من الحكومة القبرصية

حافظ الأرمن علي تقاليدهم وأعيادهم، وهذه مثل الرمز وخصوصًا بعد (مذابح الأرمن). ومحفظاتهم علي العادات والتقاليد والأعياد والثقافة أمر بالغ الأهمية حيث استطاع الأرمن الحفاظ علي تكوينهم وثقافتهم واستمرارهم ولغتهم وتقاليدهم. ولأرمن لقبرص، هناك خصوصيات وحريات في ممارسة ثقافتهم وتقاليدهم وعاداتهم بدعم ومساهمة من الحكومة القبرصية؛ فمكنهم ذلك من الحفاظ علي تقاليدهم وثقافتهم.



كيف أثر الإبعاد القسري للأرمن عن أرمينيا الأم علي ثقافة الأرمن في المهجر؟

حافظ الأرمن في المهجر علي النشاطات الدينية والثقافية واللغوية، ولدينا علاقات مع جمهورية أرمينيا، ووزارة الشتات في الموطن الأم، وهذا ساعد علي تقوية العلاقات مع الوطن الأم، وتجذير الثقافة واللغة. ولا ننسي أن عدد سكان أرمينيا ثلاثة ملايين بالداخل وعشرة ملايين في المهجر، قام أرمن المهجر بدور بارز وفعال فى المجتمعات التي سكنوها، وكذلك عززوا علاقاتهم بالوطن الأم في جميع المجالات.

هل من الممكن نسيان الماضي العثماني والمصالحة مع الأتراك؟

السؤال صعب جدًا. حتي إذا صارت هناك مصالحات، فلا نستطيع أن ننسي الماضي؛ لأن المذابح والإبادة وما حدث فيها شيء رهيب. وأنا علي المستوي الشخصي فقدت عائلتي أكثر من ٢٥ شخصًا في مذابح أضنة ١٩٠٩، و١٩١٥. ولا ننسي ذكرياتهم وعائلاتنا الذين ذبحوا وماتوا. أما المصالحة فممكن لكن النسيان لا يمكن.

لماذا نجد النشاط في مطالبة الأرمن في الشتات وكذا أرمن المهجر في الاعتراف التركي بالمذابح التي ارتكبت بحق الأرمن بدلاً من الأرمن في أرمينيا؟

هذا شيء طبيعي، وخاصة أن أرمن المهجر يطالبون بالاعتراف بالإبادة لأنها شيء أساسي، وأكثرية أرمن المهجر الذين أُجبر أجدادهم علي ترك بيوتهم ووطنهم. ومثلًا أنا من مواليد بيروت، وكان عمر والدي عامين عندما ترك مدية عينتاب ولجأ مع عائلته إلي حلب ثم بيروت، وأنا ثالث جيل أعيش بعد الإبادة الأرمنية، ونحن كشعب الأرمن وكل أرمينيا نُطالب تركيا الاعتراف بالإبادة الأرمنية.

هل يلعب الأرمن القبارصة دورًا كبيرًا في تدعيم العلاقات مع الجمهورية الأرمنية؟

علاقات الجمهورية القبرصية مع الأرمنية علاقات وثيقة وقوية، وكذا علاقات الأرمن القبارصة مع الجمهورية الأرمنية، علاقات سياسية وعلاقات اجتماعية وعلاقات ثقافية واقتصادية. ويعتبر الأرمن قبرص كحليف وصديق قديم يدعم الشعب الأرمني، إن كان في الإبادة الأرمني أو آرتساخ ، وخاصة بعد حرب آرتساخ، حيث تم تهجير أكثر من ١٢٠ ألف أرمني من آرتساخ إلي أرمينيا، فقدمت الحكومة القبرصية المساعدات إلي الشعب الأرمني، وكذلك تعمل الجالية الأرمنية القبرصية علي تدعي وتطوير العلاقات أكثر وأكثر، وكما ذكرت أن الدستور القبرصي يعترف بالأقليات الدينية وهناك ممثل في البرلمان القبرصي يلعب دورًا بارزًا في إقامة العلاقات بين جمهورية قبرص وجمهورية أرمينيا.

كيف ساعد استقلال أرمينيا علي تواصل الأرمن مع الوطن الأم؟ وكيف تطورت العلاقة بين قبرص وأرمينيا بعد الاستقلال؟

بالتأكيد كان استقلال أرمينيا نقطة تحول محورية حيث أصبح للأرمن وطن أم وجمهورية مستقلة، وعضوية بالأمم المتحدة. وهذا شيء مهم، أن تبني وتقيم علاقات وفي نفس الوقت عندك وطن متميز بالاستقلال، وهذا يساعد كثير من الأرمن في المهجر علي التواصل، وكذلك الأرمن في قبرص. فالجمهورية القبرصية صديقة للشعب الأرمني، وخاصة بعد الاستقلال، وهناك تعاون كبير ووثيق بين مجلس النواب بأرمينيا ومجلس الشعب بقبرص، والتعاون في عدة مجالات اقتصادية واجتماعية. والشعب القبرصي والحكومة القبرصية ساعدا الشعب الأرمني بعد حرب آرتساخ.

كيف استفاد الأرمن من التكنولوجيا في عرض قضيتهم علي المجتمع الدولي؟

بالتأكيد فالتكنولوجيا متقدمة، والمؤسسات الأرمنية والحزبية والقومية استفادت من التكولوجيا ويبذلون الجهود للتواصل مع المنظمات والمجتمعات الدولية. فإن كان الإنترنت أو وسائل التواصل الاجتماعي؛ فأرمن المهجر، وكذلك أرمن قبرص يستخدمون هذه الوسائل المتاحة، ويعملون بكل جهد للتعريف بقضيتهم للمجتمع الدولي والقوي الدولية.

كيف حافظ الأرمن علي وجودهم رغم جرائم الإبادة؟

حاول الأرمن في مجتمعات الشتات في البلاد التي انتشروا فيها؛ فنري للمجتمعات الأرمنية كنائسهم ومدارسهم ومؤسساتهم الاجتماعية والثقافية والصحف والإعلام، كما حاول الأرمن أن يبنوا حياتهم في المهجر، فاستطاعوا أن يحافظوا علي هويتهم ولغتهم وثقافتهم وقوميتهم في المهجر.

هل يهتم الأرمن في قبرص بما يدور في آرتساخ؟

بالطبع، فالأرمن في قبرص كغيرهم مثل أرمن الشتات يهتمون بأحداث كاراباخ، وكانوا متضامين مع قضية كاراباخ، ويناشدون المجتمع الدولي بالحق الأرمني في كاراباخ، وكذا بعد الحرب المطالبة بإطلاق سراح الأرمن في السجون الآذرية، ومحاكماتهم وتطبيق العدالة. والشعب الأرمني اليوم في أرمينيا أو المهجر يشدد علي حقوق شعب كاراباخ، لأن آرتساخ جمهورية أرمنية ولهم الحق في الاستقلال كأي جمهورية بعد استقلال جمهوريات الاتحاد السوفيتي، والشعب الأرمني يطالب بالعدالة والاستقلال لآرتساخ.

رؤية مصرية للقضية الأرمنية



بقلم: د. هشام ابراهيم على ابراهيم
دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر جامعة المنوفية

سيتناول هذا المقال القضية الأرمنية من خلال الصحافة المصرية فى الفترة من ١٨٩٤م حتى ١٨٩٦م .

اتجاهات الصحافة المصرية:

شهدت مصر خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر تطوراً سياسياً وفكرياً ملحوظاً، والذي جاء متمثلاً في ظهور بعض المؤسسات السياسية التي لم تكن موجودة من قبل مثل مجلس شورى النواب الذي أنشئ في نوفمبر ١٨٦٦م، حيث كان يعني ظهور تلك المؤسسات وجود قوى سياسية أخرى في المجتمع بجانب الخديوي، وما صاحب هذا من ازدياد الوعي في المجتمع ومن ثَمَّ بدأ ينشأ ما يسمى بالرأي العام نتيجة لظهور فئة من المثقفين كجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وغيرهم.

ومن هذا المنطلق ونتيجة لتطور نظام الحكم في عهد الخديوي اسماعيل الذي سعى لتأسيس دولة عصرية في مصر على درب جده محمد علي، وفى سبيل هذا نجح في استصدار عدة فرمانات من السلطان العثماني عبد العزيز مُنح بموجبها بعضاً من الحرية لإدارة شئون البلاد بشكل منفصل عن الدولة العثمانية، الأمر الذي أكد على استقلال مصر ولكن في ظل سيادة تبدو اسمية فقط من قِبل الدولة العثمانية. وفى هذا الصدد شجع الخديوي اسماعيل المثقفين من المصريين واللبنانيين الوافدين إلى مصر على إنشاء الصحف والمجلات بهدف ظهور صحافة تضاهي صحافة الغرب لمتابعة نشاط مجلس شورى النواب وأعمال الحكومة وأحوال الناس ، فظهرت في عهده ما يعرف بالصحافة الشعبية . وفي ذلك السياق تأسست جريدة الأهرام على يد الأخوين اللبنانيين سليم وبشارة تقلا في الإسكندرية في عام ١٨٧٥م والتي صدر عددها الأول في الخامس من أغسطس ١٨٧٦م ، حيث كانت تصدر في البداية بشكل أسبوعي ثم تحولت لصحيفة يومية ، كما نشأت عديد من الصحف الأخرى.

الملامح العامة للأرمن داخل الدولة العثمانية

اتسمت المنطقة التي عرفت تاريخياً بأرمينية القديمة بمساحة واسعة ، حيث جاء على حدودها الشمالية سلسلة جبال القوقاز ، وبحر قزوين من الجانب الشمالي الشرقي، بينما البحر الأسود من الشمال الغربي على حدودها الغربية ، وإن شملت أرمينية القديمة في الوقت الراهن معظم شرقي تركيا والجزء الشمالي الشرقي من إيران، مع بعض أجزاء من جمهورية جورجيا وأيضاً جمهورية أذربيجان، علاوة على جمهورية أرمينية بشكل كامل.

بدا من هذا المنطلق أن موقع أرمينية الجغرافي قد جعلها بمثابة واحدة من القلاع الطبيعية التي أسالت لعاب الغزاة مراراً بما حولها لحلبة صراع عبر التاريخ بين سائر الإمبراطوريات المتنافسة كنتيجة مباشرة لموقعها الجغرافي والاستراتيجي على مفرق طرق التجارة وكذا الطرق العسكرية بين قارتي آسيا وأوروبا. من المرجح أن تواصل الأرمن مع العالم الخارجي المتقدم قد انعكس إيجاباً

على الكثير من جوانب حياتهم كتحسن أوضاعهم الاقتصادية وزيادة الوعي الثقافي والفكري لديهم.
وقد تباينت الآراء حول الأصول التي يعود إليها الأرمن ، ولكن أرجحها يجزم بأن النصف الثاني من القرن السابع قبل الميلاد قد شهد تحول معه المنطقة التي عرفت بأرمينية إلي موطناً لعدد من عناصر السكان تمايزت جذورهم العرقية وانقسموا بشكل أساسي لمجموعتين ، أولهما سكان المنطقة الأصليين من ذوي الأصل القوقازي الأرمني، والذين أقاموا مملكة عرفت بـ أورادرو بينما تشكلت المجموعة الثانية من نازحي البلقان الذين تكونوا من قبائل ذات أصول هندو أوروبية.
ورغم هذا كان الأرمن من أقل العناصر المخلطة حول العالم ، وهذا قد يعود مرجعه لعزلة أرمينية جغرافياً عن العالم الخارجي بحدود طبيعية تبدو صارمة ، فضلاً عن أن عملية تزاوج الأرمن لم تكن تخرج كثيراً عن نطاق مجتمعهم ، خاصة مع انعزالهم فى كثير من المسائل الدينية.
ومع بدايات القرن الرابع الميلادي كان لأرمينية السبق فى إقرار الديانة المسيحية ديانة رسمية لها ، فصارت الدولة الأقدم التي تبادر باتخاذ تلك الخطوة ، والتي جاءت على إثر اعتناق الملك ديرتاد الثالث المسيحية بواسطة القديس كريكور المنِّور. وقد رزحت أرمينية في معظم فترات تاريخها رهينة القوة الأكبر التي تبسط سيطرتها على المنطقة، بما فرض علي الأرمن وضع الاستنفار بشكل مستمر حفاظاً على هويتهم ودينهم وعاداتهم وتقاليدهم، ومن ثَمَّ حرمتهم تلك الصراعات من الاتحاد واقامة دولة مستقلة خاصة في ظل الظروف السياسية والاقتصادية والجغرافية ، الأمر الذي دفع عدداً كبيراً من الأرمن من حين لآخر للرحيل عن أرمينية وتشكيل مجتمعات متفرقة في سائر بقاع العالم وعقب سلسلة من الحروب بين الدولتين العثمانية والفارسية تم تقسم أرمينية بينهما ، فسميت أرمينية العثمانية بأرمينية الغربية حيث ضمت ست ولايات وهي فان وأرضروم وخربوط وبتليس وسيواس وجزء من ديار بكر إضافة إلى قيليقية بينما أطلق علي أرمينية الشرقية والتي شملت المنطقة الممتدة حول الضفتين الشرقية والغربية لنهر آراكس وبها مدن حول ضفتيه الغربية والشرقية وبها مدن ناخيتشيفان و ايتشميادزين ويريفان .

مذابح ساسون ١٨٩٤م وتداعياتها:

شهد عام ١٨٨٩م بداية مذابح الأرمن من خلال ما ارتكبه بعض الأكراد من اعتداءات ضدهم في الولايات الأرمنية الست ، بل استمر مسلسل حوادث الإرهاب التي استهدفتهم حتى طالت العاصمة الآستانة ذاتها فى عام ١٨٩٠م. وبناءً على ذلك وعلى وقع تراجع الدور الأوروبي تجاه الأرمن والذي صاحبه مماطلة السلطان عبدالحميد في تنفيذ الإصلاحات التي جاءت بها المادة الحادية والستين من معاهدة برلين ، علاوة على قيامه بعمليات توطين للأكراد في الولايات الأرمنية فقد اندفع ثوار الأرمن للقيام بمظاهرات ضد الحكومة العثمانية مثلما شهدته أرضروم في ١٨٩٠م وتوالت بعدها انتفاضات الأرمن التي خلفت وراءها كثيراً من الضحايا .
ومنذ منتصف أغسطس حتى منتصف سبتمبر ١٨٩٤م شهدت ساسون بولاية بتيليس مذبحة أرمنية مروعة بطلها الفرق الحميدية، والتي أرسلها السلطان عبدالحميد بأعداد كبيرة لتأديب أرمن ساسون لتقاعسهم عن سداد المستحقات الضريبية لشهر يونيو ١٨٩٤م ، ثم دخولهم فى حالة من العصيان، إلا أن الفرق الحميدية فرضت كلمتها عبر المجازر التي اقترفتها وراح ضحيتها أعداد كبيرة من الأرمن ما بين قتيل وجريح.
وقد انقسمت الصحافة المصرية على ضوء المذابح التي تعرض لها الأرمن خلال فترة الدراسة ما بين عامي ١٨٩٤م حتى ١٨٩٦م إلى فريقين الداعم والمساند منها للأرمن على إثر ما يواجهونه من مذابح واضطهاد،

بينما اتخذ الفريق الآخر جانب الدولة العثمانية مع تحميل تبعات ما تشهده ربوع الولايات الأرمنية من اضطرابات داخل الدولة على عاتق الأرمن .

وجاءت جريدة المقطم لسان حال الاحتلال البريطاني فى مصر في مقدمة الصحف الداعمة للأرمن والتي تبنت الحكومة البريطانية قضيتهم ، ومن هذا المنطلق أفردت الجريدة صفحاتها عقب الاضطرابات التي شهدتها ساسون للمتابعة والتعليق على تلك الأحداث ، مشيرة إلى ما تناولته جريدتي تايمز البريطانية و لوفيجارو الفرنسية بشأن مذكرة الجمعية الأرمنية الوطنية فى لندن إلى وزارة الخارجية البريطانية حول ما دار فى ساسون من أحداث عنف أودت بحياة عدد كبير من الأرمن وصل عددهم على حسب ما أوردته المذكرة إلى قرابة الستة آلاف وتدمير ثلاثين قرية، مُحملة فيه فرق الأمن العثمانية المسئولية عن تلك الأحداث رغم ما تردده الحكومة العثمانية من تكذيب لهذه الاتهامات ، الأمر الذي ينبغي معه تدخل الحكومة البريطانية لمحاسبة المتورط فى تلك الأحداث وحقن الدماء الأرمنية.

وفى محاولة منها لإبعاد اتهام تحيزها للأرمن نشرت جريدة المقطم البيان الصادر عن الحكومة العثمانية حول أحداث ساسون والتي أوضحت فيه أن جنود الأمن العثماني وصلوا إلى ساسون لبسط الأمن فى ربوعها ، وذلك رداً على ما ارتكبه الأرمن من أحداث عنف ، وهو ما تمكن الأمن العثماني من تحقيقه ، وأن الحكومة العثمانية من منطلق رغبتها فى الكشف عن الحقيقة فقد شكلت لجنة للوقوف على مضمون ما حدث.

وفى سياق متصل استعرضت جريدة المقطم أيضاً ما تداولته الصحافة فى الآستانة بشأن أحداث ساسون والتي تنفي فيها أية مسئولية للأمن العثماني عن هذه الأحداث بل ألصقتها بجماعة من الأرمن وصفتهم بأنهم مجموعة من اللصوص عاثوا فى الأرض فساداً، إلا أن الجريدة لم يفوتها أن تؤكد أن تناولها لوجهة النظر العثمانية جاءت من منطلق حرصها على تناول وجهة نظر الجانب الآخر ، ولكن هذا لا ينفي عن الصحافة العثمانية الأقوال المرسلة التي أوردتها وتعد بشكل واضح بعيدة عن كبد الحقيقة خاصة بعد تقدير الجريدة لحصيلة الضحايا بخمسة عشر ألف أرمني وذلك وفقاً لما ذكرته جريدة التان الفرنسية بشأن اضطرابات ساسون .

وعلى الجانب المقابل الداعم للدولة العثمانية هاجمت جريدة الفلاح بريطانيا لاحتضان عاصمتها لندن جمعية للأرمن تبث من خلالها سموم العصيان للأرمن ضد الدولة العثمانية مع اختلاق جرائدها لعدد من الأكاذيب حول تعرض الأرمن للاضطهاد داخل الدولة العثمانية ، كل ذلك كي تغطي على تعديها على حقوق الدولة العثمانية صاحبة السيادة فى مصر وتتمكن من الخروج من هذا المأزق. وفى نفس السياق التقطت جريدة المؤيد طرف الخيط وواصلت الهجوم على بريطانيا متهمة بعض أعضاء البرلمان البريطاني بإثارة الحكومات الأوروبية ضد الدولة العثمانية ، الأمر الذي ولد الاستغراب لدى سلطان الدولة عبدالحميد الثاني خاصة مع مواقفه السابقة مع بريطانيا التي لا يبدو منها سوى المودة والاحترام .

واستمر هجوم جريدة المؤيد على بريطانيا ناقلة جانب المشكلة إلى حالة الصراع البريطاني الروسي، واصفة بريطانيا بأنها بمعزل عن أوروبا لمناصبتها العداء مع سائر الحكومات الأوروبية، بل أن روسيا دفعت بتسعة عشر ألف جندي من جنودها على حدود الولايات التي يقطنها الأرمن خشية توغل بريطانيا فى تدخلها بشأن الأرمن، وهو ما وقفت منه بريطانيا صامتة طمعاً فى عقد اتفاق مع روسيا بشأن الأرمن تتفرع من خلاله مصالح تمس بريطانيا، ولكن يبدو أن الحكومة البريطانية قد تناست تنازعها النفوذ فى آسيا مع الدولة الروسية والذي لا يبطله عهد ويصعب عبره الوصول لقاسم مشترك بينهما خاصة

وأن ذلك يأتي فى ظل سوء نية واضح من جانب الحكومة البريطانية التي سمحت بقيام فرع لجمعية الأرمن بمصر، ولكنه من المؤكد سيكون له مردود سيئ على بريطانيا لما يكنه الشعب المصري من تقدير وإعزاز للسلطان العثماني والخلافة الإسلامية، بل أن أصحاب صوت العقل من الأرمن والذين يمثلون السواد الأعظم منهم لديهم نفس الشعور ولا يبغون سوى العيش في كنف الدولة العثمانية .

وعلى ذات الجانب شككت جريدة المحروسة في مصداقية الأنباء التي تواردت حول أحداث ساسون بأنها يشوبها كثيراً من المبالغة والتهويل بدليل انتداب الحكومة العثمانية للجنة على درجة عالية من النزاهة والكفاءة لتحري تلك الأحداث .

المذابح فى الولايات الأرمنية ١٨٩٥م:

وعلى إثر فشل التحقيقات حول مذابح ساسون فى التوصل لنتائج ملموسة ، وكذلك تواصل المذابح الأرمنية ، فقد بادرت بريطانيا ومعها فرنسا وروسيا بتقديم مذكرة مشتركة للحكومة العثمانية فى الحادي عشر من مايو ١٨٩٥ م، تضمنت مطالبة الباب العالي بإجراءات محددة فى الولايات الأرمنية تبدأ بتعيين مفتش عام لها ، وأن توضع ضمانات واضحة لاختيار الولاة المكلفين بتنفيذ تلك الإصلاحات، مع إعادة الأرمن المهاجرين أو الذين أبعدوا عن ديارهم إلى بلادهم وتعويضهم عن ذلك، على أن يتم حل الفرق الحميدية، إلا أنه فى نهاية الأمر لم ترى تلك الإصلاحات النور نتيجة لمماطلة وتسويف الحكومة العثمانية .

وقد أعلنت مجلة السرور- أحد أصوات الدولة العثمانية – انتهاء لجنة التحقيق بشأن أحداث ساسون إلى نظافة يد جنود الدولة العثمانية من دم الأرمن وأن الأمر لم يكن سوى حالة من الاحتقان المتبادل بين الأرمن والأكراد تدخلت على إثرها الجنود العثمانية لنزع فتيله ، بينما الحكومة البريطانية وصحفها حاولتا قلب الحقائق ، ومع هذا جاء تقرير اللجنة على عكس هوى حكومة بريطانيا مُوصياً فقط بوجوب إدخال بعض الإصلاحات لدى الولايات الأرمنية كأن تندمج ولايات بتيليس ووان وأرضروم في ولاية واحدة ، على أن يتولى أمرها والى مسلم لأقلية المسيحيين بالنسبة للمسلمين في تلك الولايات .

وكشفت جريدة المؤيد أن مشروع الإصلاحات الذي أعدته الحكومات الأوروبية وتشرع في تقديمه للباب العالي قد خلى تماماً من ثمة إشارة لمذابح شاع وقوعها في ساسون بما يجزم أنهم قد بنوا مشروع تلك الإصلاحات كنتيجة لما توصل إليه مندوبيهم بلجنة التحقيق ، الأمر الذي يوضح حقيقة دامغة أكدتها الحكومة العثمانية مسبقاً حول ضلوع الأرمن ومن خلفهم بريطانيا في مسئولية ما حدث من اضطرابات فى ساسون .

وفى سياق متصل نشرت جريدتي الفلاح و الأهرام نص الإصلاحات التي حوتها مذكرة الدول الأوروبية للباب العالي بشأن الأرمن فى الحادي عشر من مايو ١٨٩٥م مع تأكيدهما أن الأرمن لا يلتمسون سوى الإصلاح فقط تحت ظلال ورعاية الدولة العثمانية التي يعيشون فى كنفها على الوجه الأكمل منذ ما يزيد عن الخمسمائة عام.

واتفقت جريدة الأهرام ومعها جريدة المؤيد فى التأكيد على توافر الرغبة والإرادة القوية لدى السلطان عبدالحميد لتنفيذ تلك الإصلاحات بعد دراستها دراسة وافية كضرورة من ضروريات العصر، على أن تشملها سائر الولايات العثمانية وليس ولايات بعينها كالولايات التي يقطنها الأرمن كي يسود العدل كامل السلطنة شريطة ألا يفضي هذا إلى استقلال فئة بعينها عن الدولة العثمانية التي لن تسمح بأية مراقبة أجنبية على أي جزء من أراضيها ، وذلك في إظهار من الدولة العثمانية على حسن نواياها ورغبتها الصادقة في الإصلاح ، وهو ما يفوت الفرصة على القوى الخارجية كبريطانيا للتدخل في الشأن الداخلي للدولة العثمانية .

وعلى الجانب المقابل أوضحت جريدة المشير أن الدولة

العثمانية تغط في حالة من الارتباك عقب خروج تقرير مندوبي الدول الأوروبية بلجنة التحقيق والذي قرر صحة الوقائع المنسوبة للأمن العثماني حول مذابح الأرمن الأمر الذي استتبعه تقديم الحكومات الأوروبية إلى الباب العالي لائحة بالإصلاحات الواجب إدخالها على الولايات الأرمنية ، بما أفضى ذلك إلى سقوط الوزارة العثمانية وتولي الصدر الأعظم سعيد باشا خلفاً لجواد باشا ، وهو ما يوحي أن الحكومة العثمانية إزاء تلك الضغوط قد اذعنت بالموافقة على تلك الإصلاحات مع اعتراضها على تعيين مراقبة دولية خشية توسعها لتشمل سائر السلطنة العثمانية ، إلا أن الحكومات الأوروبية لديها يقين من كذب ادعاءات الحكومة العثمانية وتنصلها من تعهداتها .

المذابح فى الآستانة ١٨٩٦م:

وعقب فترة من الهدوء الحذر بين الجانبين شهدت الآستانة مع نهاية أغسطس ١٨٩٦م مذبحة دموية كبيرة على إثر قيام عدد من أعضاء اللجان الثورية لحزب الطاشناق فى السادس والعشرين من أغسطس ١٨٩٦م – والذين كانوا مسلحين بالمتفجرات – باحتلال البنك العثماني واحتجاز مائة وخمسين رهينة وذلك عقب إقالة الحكومة العثمانية لبطريك الأرمن أزمير ليان ، حيث أعلنوا أن هدفهم من هذا توجيه رسالة قوية للحكومات الأوروبية بغرض التدخل بشكل إيجابي للضغط على الحكومة العثمانية كي تشرع فى تنفيذ الإصلاحات الخاصة بالأرمن ، خاصة في ظل جمود موقفها إزاء هذا حتى انتهى الأمر بإقالة بطريركهم ذاته .

وقد منح هؤلاء الأرمن الحكومة العثمانية مهلة لمدة يومين لتنفيذ مطالبهم ، إلا أن ماكسيموف السفير الروسي فى الآستانة تمكن من عقد تسوية بين محتلي البنك والحكومة العثمانية التي فشلت قوات أمنها فى استرداد البنك ، وذلك بأن يغادر محتلي البنك البلاد دون التعرض لهم فور إخلاءهم البنك ، مع الوعد من قِبل الحكومات الأوروبية بالتدخل لحل المشكلة الأرمنية .

وعند مغادرة الأرمن البنك جرت عمليات قتل واسعة في صفوفهم وكذلك سلب لممتلكاتهم في شوارع وأحياء الآستانة من قِبل قوات الأمن السرية العثمانية على مدار يومي السابع والعشرين والثامن والعشرين من أغسطس ١٨٩٦م، والتي يبدو أن حكومتها كانت على علم مُسبق بخطة الأرمن لمهاجمة البنك ولكنها لم تسع جاهدة لإجهاضها حتى تتخذها ذريعة بعد ذلك للإجهاز على الأرمن ، الذين لم تتوقف المذابح ضدهم إلا عندما وصل لمسامع الباب العالي تحرك الأسطول البريطاني لحماية رعايا دولته .وقد اعترفت جريدة المحروسة على الرغم من ميولها العثمانية بحدوث مذبحة وذلك على وقع بشاعتها ، كاشفة عن مصرع قرابة الألفي أرمني ووجود أعداد هائلة من المصابين جراء اقتحام عدد منهم البنك العثماني بالآستانة احتجاجاً على إقالة الحكومة العثمانية لبطريركهم أزميرليان والذي كان وقوداً لإشعال نفوسهم المحبطة، حيث دارت معركة عنيفة مع الأمن خلفت هذا العدد من الضحايا. هذا، وقد عادت جريدة لسان العرب وأشارت لارتفاع حصيلة قتلى الأرمن إلى ما يتجاوز الخمسة آلاف، موضحة أن هذا الحدث الضخم قد خيم بأجوائه الحزينة على احتفالات الآستانة بعيد جلوس السلطان على عرشه، من حيث مقاطعة السفراء الأجانب لتلك الاحتفالات في سابقة تبدو هي الأولى من نوعها، ثم صوبت أصابع اتهامها بالضلوع في المسئولية عن هذه الأحداث إلى فرق الأمن الحميدية .

وعلى نفس الصعيد انتقدت جريدة لسان العرب الصمت الذي خيم على أوروبا وكذا استمرار سياسة حكوماتها فى عدم اتخاذ خطوات جدية إزاء الجرائم المتكررة في حق الأرمن وأخرها تلك الجريمة التي أودت بحياة خمسة آلاف منهم، ومع ذلك لم تتحرك مشاعر حكامها نحو القيام بإجراءات كفيلة بحفظ حقوق الأرمن لدى الدولة العثمانية ، فالاكتفاء بتقديم مذكرة عند كل مذبحة كنوع من إثبات المواقف لن يؤتي بأية ثمار. وفى ذات السياق اتهمت جريدة المشير السلطان العثماني عبد الحميد الثاني بإعطاء الضوء الأخضر لجنوده من الفرق الحميدية للإجهاز على الأرمن لكسر شوكتهم وحصد أكبر عدد منهم، فبشاعة المذبحة ما كان لها أن تحدث بهذا الشكل دون أخذ الأمن العثماني تعليمات واضحة بذلك.

سقط كل شيء ما عداه



بقلم:كيڤورك خاتون وانيس

ثمة إجراء قضائي تلجأ إليه المحاكم في بعض الجرائم الشائكة وهو إعادة تمثيل الجريمة (Reconstruction) بقصد كشف بعض الملابسات الغامضة والحصول على صورة منطقية للتسلسل الحقيقي للأحداث التي أدت إلى وقوع الجريمة. واليوم، بعد سقوط الأنظمة الديكتاتورية في المنطقة العربية، نحن أمام حالة تشبه ذلك الاجراء، إذ أننا نشهد إعادة تمثيل المشهد الأول والأهم من مسرحية: الاستبداد والخوف... الأدوار المتبادلة. إنه مشهد يستحق الاهتمام والتأمل كونه يناقض المشهد الأخير المترسخ في الاذهان والذي تمكّن من اقناع المتفرج بأن الاستبداد هو من يصنع الخوف، وليس العكس كما في المشهد الأول!

في المشهد الأول، حيث تسقط المنظومة المستبدة ويبدأ عهد جديد، ينتقل الخوف الذي كان يعيشه مناهضو العهد السابق إلى أنصاره (فهذا أمر طبيعي)، لكنه لا يخرج تماماً من عقول وقلوب من كانوا ضد النظام السابق رغم أن حقبة جديدة قد بدأت خالية من الاستبداد، وأن الذين استولوا على السلطة ما يزالون في مرحلة استجداء الشرعية الشعبية، وبالتالي من المفترض أن يكون الخوف قد زال مع سقوط النظام السابق!

يتمظهر أخطر أنواع هذا الخوف في شكل تأييد شبه مطلق (على شكل سوق تبريرات غير منطقية على الاطلاق) من قبل عدد لا بأس به من أفراد المجتمع (العامة والنخبة على حد سواء) لكل القرارات والإجراءات التي تتخذها السلطة الجديدة (رغم أنها سلطة انتقالية او بالأحرى سلطة أمر واقع!.) إذن نحن أمام حقيقتين تستحقان قراءة متأنية ونقدية في آن معاً: سقوط شجرة الاستبداد لا يعني بالضرورة موت تربته، الخوف هو منشأ الاستبداد وليس العكس كما قد توحي كل الفصول التي تلي المشهد الأول!



بعد سقوط الأنظمة الاستبدادية وفي ظل هاتين الحقيقتين لم يعد مقنعاً أو مجدياً القول بأن شمس الحرية بكل ما تعنيه الكلمة قد بزغت وأن السلطة هي المسؤولة الأولى والأخيرة عن حجبها. ولابد من الانتقال إلى سؤال أهم وأكثر جدوى ألا وهو ممن نخاف نحن كشعوب بعد سقوط النظام القمعي المستبد؛ إذ أن خوفنا، قبل تمكن السلطة من أدواتها، هو شرط لازم وكافٍ لها لكي تتحول من جديد إلى سلطة مستبدة أو قائد الدولة والمجتمع!

في المشهد الأخير يظهر بأن النظام الاستبدادي هو المسؤول الأول عن زرع الفرقة وبالتالي الخوف بين أفراد المجتمع لكي تسهل السيطرة عليها، لكن المشهد الأول، حيث لم تتحول السلطة إلى مستبدة بعد، يظهر بأن الكثير من النخب والوعاظ يتحملون مسؤولية كبيرة عن زراعة هذا الخوف بين الناس وتغذيته؛ في أحيان كثيرة لهدف معين، وفي أحيان قليلة دون قصد أو تفكّر. فإذا بحثنا في الحروب الاهلية لرأينا بأن الناس بمختلف منابتها كانت متعايشة ولا تعير اهتماماً لهذه التمايزات التي تُمارَس بشكل تقليد شعبي أكثر من كونها عقيدة متقوقعة ترفض وجود الاخر!

لكن لكي لا نضع كامل المسؤولية على النخب ونعفي أنفسنا كشعوب من أي مسؤولية، من المفيد هنا التذكير بمقولة شعبية بسيطة ذات دلالة عميقة يتم تداولها في المجتمعات الواقعة تحت نير الاستبداد: الحيطان لها آذان. والمقصود بها أن السلطة موجودة في كل مكان، لكن من هم آذانها وكيف تيّسر لها امتلاك هذا الكم الهائل من الحيطان؟

مع بدء المرحلة الجديدة الخالية من الديكتاتورية والمستبدين، يمكن تمييز مسارين خطيرين تسلكه الكثير من النخب: الشعبوية، والسذاجة السياسية. تنتشر الشعبوية في أوساط الكثير من المهتمين بالشأن العام (النخب بمختلف مشاربها)، والتي تعني ببساطة الخوف من وصف الوقائع كما هي وقول الحقائق، خشية خسارة جمهورهم؛ هذا الجمهور الكبير الذي التف حول هذه النخب المناهضة للنظام السابق، فهل تجرؤ على انتقاد السلطة الجديدة والتفريط بهذا الكم الكبير من المعجبين؟

ونحن نتحدث عن دور النخب، تتطلب الموضوعية وعدم التهرب من طرح سؤالين هامين: ما مدى أهمية آراء النخب في بناء دولة خالية من الاستبداد ؟ كم هي حاجة السلطة كبيرة إلى النخب في تمكين سيطرتها على الدولة والمجتمع؟

كلما طُرح موضوع نهضة الشعوب وتطور أنظمة الحكم في أي بقعة من العالم، يأتي في المقدمة ذكر دور رواد هذه النهضة (فلاسفة، فنانين، روائيين، كتّاب، شعراء....الخ)، وأكبر مثال على هذا الدور هو حركة التنوير التي قادتها هذه النخب في أوروبا.

من هنا يتضح بأن دورهم حيوي في نهضة مجتمعاتهم؛ فأصواتهم وآرائهم مسموعة ومقروءة ومؤثرة في تشكيل رأي شعبي ذات ثقل كمي ونوعي.

إن مجرد مراجعة بسيطة لتاريخ العلاقة بين السلطة و النخب نستكشف بسهولة مدى حاجة الأنظمة لصوت وكتابات وآراء هذه النخب في تلميع صورتها وتبرير كل ما تقدم عليه وبالتالي تخدير الشارع واقناعه بوسائل شتى، أهمها بأن لا صوت يعلو على صوت الثورة أو المعركة وفق التعبير القديم!

وتتجلى هذه الحاجة والعلاقة بشكل أوضح في منعطفين هامين اهتزاز عرش النظام القائم ، وبداية العهد الجديد. ففي الأولى يحتاج لخطابها ومواقفها من أجل الحفاظ على الولاء الشعبي المطلق، وفي الثانية يحتاجها من أجل الحصول على تأييد شعبي واسع كخطوة ضرورية لتوطيد أركان السلطة والتمكّن من أدواتها وتحويل هذا التأييد بالتدريج إلى ولاء مطلق باستخدام أسلوبي الترهيب والترغيب تُعتبر أغلب النخب الثقافية المهتمة بالشأن العام (كتّاب، أدباء، فلاسفة.....الخ) او ذات التأثير الشعبي (فنانين، اعلاميين....الخ) في العموم ساذجة سياسياً (هناك طبعاً ثلة انتهازية وصولية تعرف من أين تؤكل الكتف)، وبالتالي يسهل في بعض الحالات خداعها من قبل أصحاب القرار السياسي، وفي حالات أخرى تقوم هي نفسها بممارسة خداع الذات!

إن صفة السذاجة السياسية ليست شتيمة أو نقيصة في حق النخب المهتمة بالشأن العام ومكانتها وإنما هي استنتاج تؤكده الكثير من التجارب شرقاً وغرباً، وهي في ذات الوقت جرس إنذار لها لكي لا تدخل في وحل السياسة وتنسى دورها الأخلاقي والريادي تجاه المجتمع.

في الحقيقة أمام النخب المهتمة بالشأن العام مساران لا ثالث لهم: قول الحق ونقل الحقيقة أو التزام الصمت، وكلاهما خيار وموقف محترم ومفهوم.

أما المسار الثالث والذي يتمظهر على شكل تزوير الحقائق وتجميل الواقع المرير وتلميع السلطة وتبرير الممارسات الخاطئة والتجاوزات والانتهاكات الإنسانية، فهو المسار الذي كتب عنه الفيلسوف الفرنسي جوليان بندا عام ١٩٢٧ في كتابه "خيانة المثقفين" وأُعيد طباعته في ١٩٤٦ (بعد الحرب العالمية الثانية) كتأكيد على صحة رصد بندا لدور المثقفين ومسؤولياتهم.



الأديب ألكسندر ميناسوفيتش شيرڤانزادة فخر الأدب الأرمني

بقلم: عطا درغام

في أرمينيا، منذ الطفولة، يعرف الجميع جيدًا اسم الكاتب والكاتب المسرحي الأرمني المتميز والمحبوب شعبيًا ألكسندر ميناسوفيتش شيرڤانزادة (الاسم الحقيقي هو موفسيسيان). ولد في (١٩) أبريل ١٨٥٨م في الإمبراطورية الروسية في مدينة شماخا بمقاطعة شماخا، والتي تم تغيير اسمها في العام التالي بعد ولادته عام ١٨٥٩م إلى مقاطعة "باكو". وُلِد في عائلة خياط من مواليد كاراباخ. أخذ اسمه المستعار تكريمًا للمنطقة التي نشأ فيها – شيرفان. و شيرڤانزادة تعني بالفارسية ابن شيروان.

تخرج من مدرسة المنطقة الروسية في شماخا في عام ١٨٧٣، وفي سن السابعة عشر في عام ١٨٧٥، ذهب للدراسة وكسب المال في باكو، حيث قام بتغيير العديد من المهن: لمدة ٨ سنوات خدم في حكومة المقاطعة، وعمل في مكاتب شركات النفط كموظف ومحاسب. لقد غيرت المدينة الكبيرة حياته إلى الأبد. أصبحت باكو غنية مع ازدهار إنتاج النفط. أمام أعين شيرڤانزادة الشاب، حدثت ولادة الأثرياء الجدد في مجال النفط. في باكو، أصبح الشاب مهتمًا بالأفكار التقدمية في عصره وسرعان ما انضم إلى الحزب الديمقراطي الاجتماعي "الهنشاك".

منذ بداية الثمانينيات، استيقظت موهبة الشاب الأدبية، وبدأ العمل كصحفي يكتب مقالات حول استغلال العمال في حقول النفط في باكو. رأى شيرڤانزادة عن كثب العواقب الاجتماعية الوخيمة لإنتاج النفط الصناعي، لقد عكس غضبه وسخطه ليس فقط في



الأديب ألكسندر ميناسوفيتش شيرڤانزادة

مقالات الصحف، ولكن أيضًا في أعماله الروائية الأولى، كما في قصص "حريق في حقول النفط" (١٨٨٠)، عن حياة وعمل عمال النفط، وكذلك قصة "مذكرات الكاتب" مخصصة لهذا الموضوع، وهذا ما وضعه في مقدمة الكتاب، باعتباره أحد مؤسسي الواقعية الأرمنية.

عاش ألكسندر في باكو حتى عام ١٨٨٣، وفي نفس العام انتقل إلى تفليس، و في ١٨٨٦ – ١٨٩١، عمل شيرڤانزادة في صحيفة تفليس الأرمنية الأسبوعية "إيكو" ("أردزاغانك")، حيث نُشرت مقالاته وقصصه ورواياته.

خلال مذبحة الأرمن في تركيا عام ١٨٩٤ – ١٨٩٦، نشر شيرڤانزادة منشورات في الصحافة تدين الفظائع التي ارتكبها الأتراك ودفاعًا عن الأرمن، و بفضل أنشطته الأدبية، أصبح يتمتع بشعبية متزايدة، واكتسب ألكسندر شيرڤانزادة شهرة واسعة بعد نشر رواية "الفوضى"

عام ١٨٩٨، التي تصف حياة مدينة كبيرة. ومع ذلك، عندما ذهب شيرڤانزادة إلى روسيا لجمع الأموال لضحايا المذبحة الأرمنية، اعتقلته السلطات القيصرية وسجنه في سجن ميتيخي في تفليس. وفي عام ١٨٩٨، تم نفيه إلى أوديسا لمدة عامين، حيث واصل أنشطته الأدبية، ثم وفي عام ١٩٠٥ غادر إلى باريس، حيث عاش حتى عام ١٩١٠، ثم عاد إلى تفليس، حيث عاش حتى عام ١٩١٩، وبعد ذلك ذهب مرة أخرى إلى الخارج للعلاج. سافر كثيرًا في أوروبا وأمريكا، و في عام ١٩١٦، كتب مكسيم چوركي، الذي كان يقدّر الكاتب الأرمني تقديرًا عاليًا، أن "أعمال شيرڤانزادة كانت معروفة ومقروءة ليس فقط في القوقاز، ولكن أيضًا في إنجلترا وشبه الجزيرة الإسكندنافية وإيطاليا."

كاتب الشعب في أرمينيا الاشتراكية السوفيتية

رأى شيرڤانزادة الكثير من معاناة عامة الناس في حياته، لذلك رحب بثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى عام ١٩١٧، حيث كان يعتقد بصدق أن النظام الاشتراكي سيمنح وطنه مستقبلاً أفضل، وفي عام ١٩٢٦، عاد أخيرا إلى أرمينيا السوڤيتية، حيث عاش حتى نهاية أيامه – ١٩٣٥. وأثناء إقامته في وطنه، قام بدور نشط في الحياة العامة للبلاد. أعجب شيرڤانزادة بإنجازات أرمينيا السوڤيتية ، وأصبح أحد مبدعي الأدب السوڤييتي الأرمني، وهو كاتب واقعي في أرمينيا، وكان عضوا في اللجنة التنفيذية المركزية عبر القوقاز (CEC). وفي عام ١٩٣٤، شارك في المؤتمر الأول للكتاب السوڤييت، حيث قدم تقريرًا رائعًا. وبمناسبة الذكرى الخمسين للنشاط الأدبي، حصل شيرڤانزادة على لقب كاتب الشعب في جمهورية أرمينيا الاشتراكية السوفيتية في عام ١٩٣٠. بالإضافة إلى ذلك، في عام ١٩٣٠، كان أول من حصل على لقب كاتب الشعب في جمهورية أذربيجان الاشتراكية السوفيتية.

إنتاجه الأدبي

كتب شيرڤانزادة باللغة الأرمنية، وكان عمله متنوعًا جدًا، ما بين الروايات والقصص والصحافة والمسرحيات. وكان من بينها الأعمال الدرامية والكوميدية. وتميز إبداعه، بدقة الأسلوب ونقاء اللغة، موجه إلى القضايا الاجتماعية والاقتصادية والنفسية. وكل ما فعله تميز بالمهارة، حتي اعتبر بحق أحد مؤسسي اتجاه الواقعية الأرمنية في الأدب. كشفت أعماله ببراعة عن رذائل المجتمع البرجوازي، وأكدت وطورت مبادئ الواقعية، التي أظهرت عملية انهيار الأخلاق الأبوية، وظهور وانحطاط البرجوازية الأرمنية .

في أعماله، ولأول مرة في الأدب الأرمني، تظهر مدينة صناعية كبيرة بتناقضاتها، وحياة الإنسان في ظروف المجتمع البرجوازي، وصور الرأسماليين والعمال بمهارة. وبقوة واقعية كبيرة، كشف شيرڤانزادة الرذائل والعداء الاجتماعي لهذا المجتمع، وأظهر صراع النظام الأبوي وطريقة الحياة الجديدة. وقارن الجشع المفترس وقسوة الرأسماليين مع تفاني البروليتاريا وإنسانيتهم.

ومنذ بداية نشاطه الإبداعي، اتجه إلى حياة طبقات مختلفة من المجتمع – التجار والحرفيين والمثقفين البرجوازيين والفنانين. ..يصور الكاتب عالم المقاطعة البطريركية في رواية «الناموس» ("الشرف") (١٨٨٥) وقصة "الروح الشريرة" (١٨٩٤)، ويظهر تغلغل الأخلاق البرجوازية في هذه البيئة ويكشف بصدق المصائر الدرامية من الأفراد، ويُظهر فيلم "الروح الشريرة" المصير المأساوي لشابة مصابة بالصرع قُتلت على يد أقارب زوجها... لقد تمت كتابة أفضل أعمال شيرڤانزادة بين عامي ١٨٨٥ و١٩٠٥. وصورت أعماله الاجتماعية والنفسية "الناموس" (١٨٨٥)، "الفوضى" (١٨٩٨)، والدراما "بسبب الشرف" (١٩٠٥) بشكل واقعي حياة مختلف طبقات المجتمع والتناقضات الطبقية في المدينة.

كانت أشهر أعمال شيرڤانزادة وأهمها، رواية الفوضى (١٨٩٨)، التي تقدم تصويرًا حيًا لاستغلال العمال وتحلل الأسرة البرجوازية. وفي ذلك، يصف المؤلف بدقة حياة مدينة صناعية كبيرة – فوضى العالم الرأسمالي... إن صراع الطبقات الاجتماعية والعقارات، واستغلال العمال، وتفكك الأسرة البرجوازية، التي يهيمن فيها التعطش للمال على كل المشاعر – هذه هي المشاكل الاجتماعية الرئيسية التي تقوم عليها الحبكة، وكشف الكاتب بشكل مقنع عن شخصيات أبطاله، ورد فعلهم للواقع المحيط بهم، الأمر الذي وجد تجاوبًا كبيرا بين معاصريه.

كانت "إيفجين" (١٩٠٣) و"أرمينوي" (١٩١٠) – أول دراما عائلية نفسية لـ شيرڤانزادة – " مكرسة لمشكلة الزواج ومكانة المرأة في المجتمع البرجوازي، وهو يدين فيها نفاق الأخلاق البرجوازية الصغيرة، والليبرالية البرجوازية، والنفاق في العلاقات الأسرية البرجوازية، مما يؤدي إلى وفاة الشخصية الإنسانية. لقد صور الحياة الصعبة للناس العاديين المضطهدين بالظلام والتعصب.

كانت ذروة دراما شيرڤانزادة هي الدراما "بسبب الشرف" (١٩٠٥)، المبنية على صراع اجتماعي حاد وتكشف عن الجوهر المفترس للمجتمع البرجوازي، وينصب التركيز هنا على الفتاة النقية والعفوية، ابنة أحد «أبطال الربح». وفي قصة "الفنان" (١٩٠٣) أظهر الكاتب بشكل موثوق كيف أصبح موسيقي موهوب عاشق للفن ضحية للمقايضة والعلاقات اللاإنسانية.

في مطلع القرنين التاسع عشر والعشرين، أصبح شيرڤانزادة مهتمًا بشكل متزايد بقضايا المرأة، كما يتضح من مسرحيته "إفجين" حول حق المرأة في التصويت و "هل هي على حق؟" رواية "الناموس" (١٨٨٥) تحكي عن المصير الشرير لإثنين من العاشقين، الذين خطبت عائلاتهم لبعضهم البعض منذ الطفولة، ولكن بسبب انتهاك الناموس (التقليد، الشرف)، تزوجت الفتاة من شخص آخر غير محبوب.

وينعكس تفكك العلاقات الأسرية البرجوازية أيضًا في مسرحيتي «على الأنقاض» (١٩٠٧) و«الدجال» (١٩١٢)، اللتين عكستا بعض التذبذبات الليبرالية للمؤلف الناتجة عن ظهور الرجعية بعد هزيمة ثورة ١٩٠٥. . وظهرت الاتجاهات نفسها في مسرحيتي «المتوفى» (١٩١٢) و «في أيام الكابوس.(١٩١٧) «

في أرمينيا السوفيتية، نشر شيرڤانزادة العديد من المقالات والقصص والمقالات المثيرة للاهتمام وذات الصلة، بالإضافة إلى الكوميديا السياسية "كوم مورجانا" (١٩٢٦، وأظهر فيه تراجع البرجوازية الأرمنية ووجودها البائس في المنفى. و لقد سخر بشكل لاذع من آمال دوائر المهاجرين في عودة النظام القديم إلى روسيا، كما كتب عن استحالة العيش في مجتمع جديد من الناس من النوع القديم، مهووسين بالعطش للربح. وآمن بنوع جديد ونبيل من الأشخاص، ورأى فيه مستقبل الشعب الأرمني. وفي كتاب مذكراته «في بوتقة الحياة» يصف ماضيه وينتقد المجتمع البرجوازي ويرحب بحياة جديدة. كما كتب سيناريو الفيلم الوثائقي عن حقول النفط "النافورة الأخيرة" (١٩٣٤).

قدم نثر شيرڤانزادة و دراماتورجيا سمات مبتكرة في الأدب الأرمني، حيث تناول في أعماله موضوع الحياة الخاصة لمثلي مختلف شرائح السكان – صناع النفط والمليونيرات المفلسين وأصحاب المتاجر الصغيرة والشباب الذين حلموا بالمرحلة. ووصف سلوك الإنسان وردود أفعاله في ظروف العالم الحديث، والطبيعة البشرية بدوافعها العالية وأهوائها التافهة. بفضل هذه الصور النفسية الدقيقة، نجت أعمال الكاتب من وقتها وتبقى ذات صلة اليوم.

يعتبر شيرڤانزادة كاتباً أرمنياً، حيث إن أعماله، التي تم كتابتها قبل ١٠٠ – ١٤٠ عاماً، مكتوبة كما لو كانت عن معاصرينا، ويكمن السر في المعرفة العميقة بالطبيعة

البشرية التي لا تتغير مع مرور الزمن؛ فعلم النفس العميق، وشغف التجويد المثير للشفقة، ودقة الإدانة الساخرة لحاملات الرذائل الاجتماعية هي التي حددت مثل هذا العمر الطويل لأعماله؛ إذ أي عمل منهم هو تحفة فنية، لأنه يظهر بدقة حقائق الحياة بشكل مدهش، وبالتالي يظل حديثا حتى يومنا هذا.

أعمال شيرڤانزادة

تشمل الروايات والقصص القصيرة والمسرحيات والصحافة والمذكرات. "نار في حقول النفط" (١٨٨٠)، "مذكرات موظف" (١٨٨٣)، رواية "الناموس" ("الشرف") (١٨٨٥)، "أرامبي" (١٨٨٦)، "الأب والابن" (١٨٨٨)، "أوهام باطلة" (١٨٨٨)، "فاطمة والأسد" (١٨٩٢)، "أرسن ديماكسيان" (١٨٩٢)، قصة "الروح الشريرة" (١٨٩٤)، "النار" (١٨٩٦)، "تسافاجات" (١٨٩٨)، "الفوضى" (١٨٩٨)، "ميلانيا" (١٨٩٩)، "فاردان أيروميان" (١٩٠٢)، "كان لي الحق" (١٩٠٢)، قصة "الفنانة" (١٩٠٣)، الدراما "إيفجين" (١٩٠٣) مسرحية «بسبب الشرف» (١٩٠٥)، «على الأنقاض» (١٩٠٧)، «الدجال» (١٩١٢)، المسرحية الكوميدية السياسية «كوم مرجانة» (١٩٢٦)، «هل هي على حق؟» مسرحية «النافورة الأخيرة» (١٩٣٤)، قصص «الأصدقاء»، «يولكا آكو»، «مقهى عادي»، «أرمينوي»، «قاتل الأخ»، «كوزموبوليتان»، «آمال باطلة»، «عبد فكرة»، "مذكرات كاتب"، "السيدة الشابة ليزا"، "متزوجة"، "المتبرع"، "صفحات من اليوميات"، بالإضافة إلى المقالات "لماذا لا أكبر في السن"، "حول مؤتمر الكتاب،" وكتاب مذكرات «في بوتقة الحياة».

تُرجمت أعماله من الأرمنية إلى العديد من لغات العالم: الروسية، الجورجية، التركية، الفرنسية، الإنجليزية وغيرها. كما تم نشر مجموعات من الأعمال المختارة لألكسندر شيرڤانزادة عدة مرات.



تمت الكتابة عن شيرڤانزادة في العديد من الموسوعات الأرمينية والسوفيتية والروسية والأجنبية وحتى في القاموس الموسوعي للسيرة الذاتية العالمي. وتم تخصيص العديد من الكتب والدراسات والمقالات باللغات الأرمنية والروسية والفرنسية والإنجليزية ..كما كتب المؤرخ الأرمني الشهير فاهي سمباتوفيتش يركانيان عن أعمال ألكسندر شيرڤانزادة في كتابه الشهير "الثقافة الأرمنية في ١٨٠٠-١٩١٧.."

توفي شيرڤانزادة في ٧ أغسطس ١٩٣٥ في كيسلوڤودسك عن عمر ٧٧ عامًا. وكانت هذه خسارة كبيرة للشعب الأرمني، وتم دفنه في يريفان في كوميتاس بانثيون، حيث دفن أفضل أبناء وبنات أرمينيا. تم إقامة نُصب تذكاري على قبر الكاتب.

شيرڤانزادة في السينما

اعتمدت الأعمال الدرامية علي بعض مؤلفات شيرڤانزادة، وتم تصوير الأعمال الدرامية والكوميدية للكاتب الشهير على مدار قرن كامل - من عام ١٩٢٦ إلى عام ٢٠٢٠ في قائمة تضم ٧ أفلام مبنية على سيناريو أعمال ألكسندر شيرڤانزادة، لعب أفضل فناني السينما الأرمن دور البطولة في هذه الأفلام التي قام بتصويرها كبار المخرجين الأرمن. ومن الأمور الرمزية أن فيلم "ناموس"، الذي تم تصويره عام ١٩٢٦، والمستند إلى رواية تحمل

تحمل نفس الاسم، أصبح أول فيلم روائي أرمني طويل. ومبدع هذا الفيلم الصامت بالأبيض والأسود هو المخرج السينمائي الشهير آمو بيك نزاروف. وفي عام ١٩٢٧، استنادًا إلى سيناريو آمو بيك نزاروف، استنادًا إلى قصة "الروح الشريرة"، تم إصدار فيلم يحمل نفس الاسم للمخرج باتفاكان بارخوداريان، والذي تم عرضه بنجاح في موسكو ونيويورك. على الرغم من أنه صامت، إلا أنه تم تصويره بمهارة شديدة بحيث يبدو جيدًا حتى اليوم.

شيرڤانزادة في المسرح

تأسس مسرح الدراما الحكومي في كابان عام ١٩٣٣، وقد تم تسميته على اسم ألكسندر شيرڤانزادة منذ عام ١٩٣٦. تقع كابان في منطقة سيونيك في جمهورية أرمينيا. كان العرض الأول لمسرحية شيرڤانزادة على مسرح كابان هو "الروح الشريرة" (١٩٣٥). ثم تم عرض "الناموس" (١٩٣٧) و"بسبب الشرف" (١٩٣٨). وفي وقت لاحق، في عام ١٩٦١ - "أرمينيو" و "بين نارين". واليوم تعد أعمال شيرڤانزادة هي الأعمال الرئيسية التي يتم عرضها على مسرح المسرح الذي يحمل اسمه بكل فخر.

تكريم شيرڤانزادة

سمي أحد شوارع يريڤان في منطقة أرابكير باسم شيرڤانزادة، كما هناك شوارع تحمل اسمه في غيومري و فاغارشابات و سيسيان، كما تم تضمين بعض أعمال شيرڤانزادة في المناهج الدراسية للمدارس الأرمنية ويدرسها الأطفال بسرور، وسيرته الذاتية وعمله معروفان لديهم.

حملت المدرسة رقم ٢١ في يريفان شيرڤانزادة، كما تم إقامة نُصب تذكاري لألكسندر شيرڤانزادة أمام مبنى المدرسة. كما حملت المدرسة رقم ٣٦ في مدينة كيروف آباد اسم شيرڤانزادة. هذه هي غاندزاك السابقة، والتي تسمى الآن غانجا. وبطبيعة الحال، في أذربيجان اليوم فقدت المدرسة اسمها الأرمني.

وبمناسبة الذكرى السنوية الـ ١٥٠ لـ شيرڤانزادة، في ١٩ يونيو ٢٠٠٨، صدر طابع بريدي في أرمينيا تكريماً للكاتب المتميز، كما احتفلت أرمينيا، بالذكرى السنوية الـ ١٥٠ لميلاد أعظم كتاب المسرح الأرمني شيرڤانزادة بشكل رسمي للغاية..

وقال وزير الثقافة الأرميني هاشيك بوغوسيان: "إن الاهتمام بأعمال شيرڤانزادة في مجتمعنا لا يجف، كما يتضح من الأفلام والعروض المستوحاة من أعماله والتي تُعرض باستمرار على القنوات التلفزيونية وعلى المسارح المسرحية" ، وعندما نتحدث عن شيرڤانزادة ، نتذكر أولاً التغييرات واسعة النطاق التي أجراها على الأدب الأرمني". وفي هذا السياق، أشار الوزير إلى أن ثقافة فريدة جديدة ترتبط باسم شيرڤانزادة، وهو قريب في محتواه من الأوروبي."

وهكذا بقي شيرڤانزادة معنا حتى يومنا هذا. وخلد نفسه بإبداعه الرائع... وتظل أعماله محبوبة لدى جميع الأرمن، والشخصيات في أعماله التي وصفها ببراعة هي معاصرونا. وترك وراءه تراثاً أدبياً غنياً، هو ملك وفخر الشعب الأرمني.





أ.د/ هشام محمد بشير
أستاذ العلاقات الدولية والقانون الدولي
ووكيل كلية السياسة والاقتصاد
لشئون الدراسات العليا بجامعة بني سويف

ماهية الدبلوماسية:
النشأة والتمييز عن المفاهيم الأخري

في عالم تتشابك فيه المصالح وتتقاطع فيه السياسات تبقي الدبلوماسية حجر الزاوية في ادارة العلاقات الدولية، فهي الوسيلة التي تعبر من خلالها الدول عن مواقفها وتدافع عن مصالحها وتجنب نفسها الانزلاق الي النزاع، لكن ما المقصود بالدبلوماسية تحديدا وكيف نميزها عن مفاهيم أخري قريبة منها مثل السياسة الخارجية والعلاقات الدولية.

أولا: تعريف الدبلوماسية

- الجذور اللغوية:

تعود الجذور التاريخية لكلمة دبلوماسية إلى الكلمة اليونانية"diploma" ؛ المأخوذة من الفعل"diplom" ، وبالفرنسية من الفعل plier أي طوى أو ثنى، أما دبلوما والتي يشتق منها دبلوم "diplôme" كانت كناية عن وثيقة رسمية "acte" تصدر عن صاحب السلطة وتمنح حاملها مزايا معينة، وهذه الوثيقة يجب أن تقدم وتسلم مطوية أي على شكل وثيقة مزدوجة.

وبعبارة أخرى يمكن القول بأن كلمة دبلوماسية تعني في أصلها اليوناني جواز مرور أو حق مرور، وهي كناية عن صفيحة (plaque) معدنية مطوية ومُحَاكَةِ الجوانب، ثم أصبحت بمعناها المتداول عبارة عن الوثيقة التي يتبادلها أصحاب السلطة، وتمنح حاملها امتيازات ومزايا معينة.

وهكذا فقد تطورت كلمة دبلوماسية، وانتقلت من اليونانية إلى اللاتينية، ومنها إلى اللغات الأوروبية الحية ثم إلى



إلى اللغة العربية. وانتقال اللفظ إلى اللاتينية كان قد استعمل على حد تعبير الدكتور عز الدين فودة في معنيين:

المعنى الأول: بمعنى الشهادة الرسمية أو الوثيقة التي تتضمن صفة المبعوث، والمهمة الموفد بها، والتوصيات الصادرة بشأنه من الحاكم بقصد تقديمه وحسن استقباله أو تسيير انتقاله بين الأقاليم المختلفة... وكانت هذه الشهادات أو الوثائق عبارة عن أوراق تمسكها قطع من الحديد تسمى دبلوماdiploma ، وبهذا الاستعمال الأول لكلمة دبلوماسية، يلاحظ أن كلمة دبلوما diploma وردت هنا لتعبر عن المعنى السابق نفسه تقريبًا، أي عن قطع من الحديد مطوية تمسك بها الوثائق أو الأوراق.

المعنى الثاني: هو المعنى الذي استعمله الرومان لكلمة دبلوماسية، والذي كان يفيد عن طباع المبعوث أو السفير، وما كانت تقضي به إذ ذاك تعليمات البعثة من وجوب التزام الأدب الجم، واصطناع المودة،

وتجنب أسباب النقد. وحول هذا المعنى يتابع الدكتور عز الدين فودة، فيقول: إن هذا هو ما قصدت إليه كلمة **dipliorae**اللاتينية، بمعنى الرجل المنافق ذي الوجهين، ومنها أخذ اللفظ الفرنسي **duplicité** بمعنى المنافق.

تطور المفهوم:

وتأسيسًا على ما سبق يمكن القول بأن لفظ الدبلوماسية استخدم أول مرة في بلاد اليونان ليشير إلى الوثائق المطوية التي يتبادلها حكام المدن الإغريقية في علاقاتها الرسمية.

وفي القرن الخامس عشر الميلادي استخدمت الدبلوماسية لتشير إلى فن إدارة وتوجيه العلاقات الدولية، حيث رافقت كلمة دبلوماسية المفاوضات؛ لتشير إلى المهارة أو البراعة في إدارة العلاقات الدولية، أما في القرن السابع عشر الميلادي فكانت تستخدم كلمة دبلوماسية بعدة معاني منها: المبعوث، المفاوض، والسفارة، ثم تطور مفهومها بحيث أصبحت تستخدم للتعبير عن معنى المهنة والمفاوضة والأساليب السلمية، وتستخدم في معنى السياسة الخارجية.

وفي القرن التاسع عشر الميلادي شاع استعمال مصطلح الدبلوماسية في بريطانيا وفرنسا. واستخدمت كلمة مبعوث(**Envoyé**) ؛ بمعنى الشخص الذي يبعث بمهمة. واستخدمت كلمة (سفير) في اللغة الإسبانية اشتقاقًا من التعبير الكنسي (**Diplomaty**) بمعنى المخادع.

وبعد تأسيس منظمة الأمم المتحدة عام ١٩٤٥م، قامت اللجنة السادسة بوضع مشاريع اتفاقيات دولية لتنظيم العلاقات الدبلوماسية بين الدول، حيث تمكنت اللجنة من تجميع العرف الدولي الخاص بالدبلوماسية، وانتهت إلى وضع ثلاثة مشاريع صادقت عليها الدول وهي:

١. اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية لعام ١٩٦١م.
٢. اتفاقية فيينا للعلاقات القنصلية لعام ١٩٦٣م.
٣. اتفاقية فيينا للبعثات الخاصة لعام ١٩٦٩م.

ونقلت اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية لعام ١٩٦١م المصطلح اليوناني الأصلي، وعندما عُرِّبت الاتفاقية لم يعرب هذا المصطلح، وأصبح مصطلح الدبلوماسية هو المتداول بين الدول العربية والإسلامية. ويقابل مصطلح الدبلوماسي الوارد في اللغة اليونانية مصطلح الرسول أو المبعوث في اللغة العربية، وهو أكثر دقة من مصطلح «دبلوماسي» الذي لا يزال غير واضح عند الغربيين أنفسهم.

- التعريف الاصطلاحي:

أما تعريف الدبلوماسية اصطلاحًا؛ فقد تعددت التعاريف التي قيلت بشأن هذا المصطلح، ومن أمثلة هذه التعاريف ما يلي:

عرفها الأستاذ ريفير **"Rivier"** بأنها: "علم وفن تمثيل الدول وإجراء المفاوضات"، ويقترب من هذا التعريف تعريف "شارل دي مارتنس"، حيث عرفها بأنها: "علم العلاقات الخارجية أو الشؤون الخارجية للدول أو بمعنى آخر علم أو فن المفاوضات."

عرفها "ستيورات موراي" بأنها: "نشاط متزايد الأهمية في مجال العلاقات الدولية الحديثة، وهي عنصر مهم للتعامل بين الدول."وأيًّا كانت التعاريف التي قيلت بشأن مصطلح الدبلوماسية فإن للدبلوماسية جانبين: أحدهما مادي، والآخر بشري، ولا يمكن أن تنهض الدبلوماسية بأحدهما دون الآخر. فالجانب المادي يتمثل في أنها علم؛ حيث تفترض في من يمارسها أن يكون على اطلاع كامل بعلم العلاقات الدولية والدبلوماسية، ومحيطًا بطبيعة العلاقات القانونية والسياسية التي تربط دولته بالدول الأخرى. أما الجانب البشري للدبلوماسية، فيتمثل في قدرة الدبلوماسي على التأثير في الطرف الآخر وإقناعه، الأمر الذي يتطلب منه قدرًا من الذكاء واللباقة والمهارة والإحاطة بقواعد وأصول التفاوض، والإحاطة التامة بلغة الدولة التي يتعامل معها أو التي يمثل دولته فيها.

ثانيا: التمييز بين الدبلوماسية وغيرها من المفاهيم ذات الصلة

هناك العديد من المصطلحات التي قد تتقارب مع مصطلح الدبلوماسية، أو تتشابه معه، ولكن في الحقيقة هناك بعض الفروق بين هذه المصطلحات ومصطلح الدبلوماسية، وهذا ما سنسعى لتوضيحه كالتالي:

الدبلوماسية والسياسة الخارجية

السياسة الخارجية والدبلوماسية من أبرز المفاهيم ذات أهمية في العلاقات الدولية، وكثيراً ما يتم استخدامهما بالتبادل أو الخلط بينهما. ومع ذلك، فإنهما ليسا الشيء نفسه، ولديهما معانٍ مختلفة، وتاريخ مختلف، وأنواع مختلفة، وأدوار مختلفة على الساحة العالمية، وعليه سوف نستعرض الاختلافات الرئيسية بين السياسة الخارجية والدبلوماسية.السياسة الخارجية هي مجموعة الأهداف والاستراتيجيات والإجراءات التي تسعى إليها دولة أو جهة فاعلة غير حكومية في علاقاتها مع الجهات الفاعلة الأخرى في النظام الدولي، وتعكس السياسة الخارجية مصالح وقيم وتفضيلات الفاعل، وتوجه قراراته وسلوكياته في الساحة العالمية، وبالتالي يمكن أن تتأثر السياسة الخارجية بعوامل مختلفة، مثل السياسة الداخلية، والثقافة، والاقتصاد المحلي للفاعل، وبنية وديناميكيات النظام الدولي، والتفاعلات وردود الفعل من الجهات الفاعلة الأخرى.الدبلوماسية هي عملية وممارسة الاتصال والتفاوض بين الأطراف الفاعلة في النظام الدولي، بهدف تحقيق أهداف سياستهم الخارجية وحل صراعاتهم ومنازعاتهم، وتتضمن الدبلوماسية استخدام أساليب وأدوات مختلفة، مثل الحوار والإقناع والتسوية والإكراه، للتأثير على الجهات الفاعلة الأخرى وتشكيل سلوكهم، ويمكن أن تتم الدبلوماسية من خلال وكلاء وقنوات مختلفة، مثل الدبلوماسيين والسفراء والمبعوثين والوسطاء، ومن خلال أشكال ومنتديات مختلفة، مثل الدبلوماسية الثنائية والمتعددة الأطراف ودبلوماسية القمة.

ومن هنا يكمن الفرق الرئيسي بين السياسة الخارجية والدبلوماسية وهو أن السياسة الخارجية هي ماذا والدبلوماسية هي كيف للعلاقات الدولية، حيث السياسة الخارجية هي الغاية والدبلوماسية هي الوسيلة للعلاقات الدولية، اذا السياسة الخارجية هي الهدف والدبلوماسية هي أداة العلاقات الدولية، كما أن السياسة الخارجية تحدد أهداف ومصالح الفاعل، والدبلوماسية تنفذها وتحققها، فضلاُ عن أن السياسة الخارجية تحدد المشاكل والتحديات التي تواجه الفاعل، والدبلوماسية تحلها وتتعامل معها، فالسياسة الخارجية تحدد جدول الأعمال والدبلوماسية تنفذه.

الدبلوماسية والعلاقات الدولية :

تعد الدبلوماسية علم وفن، فهي علم ينتمي إلى حقل العلاقات الدولية، إذ تعرف على أنها علم العلاقات بين الدول، هذا من جهة. ومن جهة أخرى تعتبر فن المفاوضة والقيادة والتوجيه، فالعلاقات الدولية مصطلح أشمل وأعم من الدبلوماسية لذا نبدأ بمعرفة العلاقات الدولية أولا ثم نعرف مكانة الدبلوماسية في هذه العلاقات.

ومن التعريفات المقدمة للعلاقات الدولية التالي:

-تعريف جيمس برايس: "العلاقات الدولية هي تلك التي تعني بالعلاقات بين الدول والشعوب المختلفة."

-غريسون كيرك، والتر شارب:" تعني العلاقات الدولية بتلك القوى الأساسية الأكثر تأثيرا في السياسة الخارجية."

-هانس مورغانتو، كينيث تومبسون: " جوهر العلاقات الدولية هي السياسة الدولية التي مادتها الأساسية الصراع من أجل القوة بين الدول ذات السيادة."

- ريمون أرون: " تمثل العلاقات الدولية العلاقات بين الوحدات السياسية الموجودة في العالم، منذ عصر الدولة-المدينة الاغريقية حتى الدولة القومية المعاصرة".

-ستانلي هوفمان: " تعني العلاقات الدولية بالعوامل والنشاطات التي تؤثر في السياسات الخارجية، وفي قوة الوحدات السياسية في العالم."

-هولستي رودولف: " تنشأ العلاقات الدولية داخل كل مجموعة من كيانات سياسية: قبائل، دول، مدن، أمم، إمبراطوريات، تربط بينها تفاعلات تتميز بقدر كبير من التواتر، ووفقا لعمليات منتظمة."

-مارتن وايت: " مجموعة المبادلات التي تعبر الحدود أو تحاول عبورها."

من خلال التعريفات السابقة نستنتج التالي:

١- يمكن تعريف العلاقات الدولية بأنها كل علاقة ذات طبيعة سياسية أو من شأنها إحداث انعكاسات وأثار سياسية تمتد إلى ما وراء الحدود الإقليمية لدولة واحدة.

٢- على الرغم من أن مصطلح العلاقات الدولية يتضمن الإشارة إلى العلاقات بين الدول فقط، إلا أن المقصود من المصطلح هو رصد كافة الاتصالات بين الدول والحركات الوطنية وحركات الشعوب والأفكار والسلع عبر الحدود الوطنية.

تلتقي الدبلوماسية بالعلاقات الدولية بكون الدبلوماسية عملية سياسية تقوم على تحقيق هذه العلاقات الدولية بما يخدم إستراتيجية الدولة، فهي علم يدرس، وفن يتقن، وقانون يلتزم به، فلكي تدير الدولة علاقاتها الدولية فهي تحتاج إلى الدبلوماسية بمعناها الوظيفي، ومن هنا كانت دراسة العلاقات الدولية مفتاح الدبلوماسية الناجحة .

الدبلوماسية والقانون الدبلوماسي:

هناك فروق طفيفة بين الدبلوماسية والقانون الدبلوماسي والتاريخ الدبلوماسي والقانون الدولي، فيشير القانون الدبلوماسي إلى ذلك الجزء من القانون الدولي المتعلق بالدبلوماسية، فهو يتشكل من تلك القواعد المكتوبة والقواعد العرفية والعادات الدبلوماسية، وقد عرّفه " برادية فودريه P.Foderé " :" القانون الدبلوماسي هو ذلك الفرع من القانون الدولي الذي يتناول تنسيق العلاقات الخارجية للدول"، أما " جينه Genet "فقد عرّفه على أنه: " فرع من القانون العام الذي يهتم بصورة خاصة بممارسة وتقنين العلاقات الخارجية للدول، وصيغ تمثيلها في الخارج، وإدارة الشؤون الدولية، وطريقة قيادة المفاوضات."

إذن، إذا كانت الدبلوماسية هي طريقة قيادة الشؤون الخارجية لأشخاص القانون الدولي من خلال وسائل سلمية، فإن القانون الدبلوماسي هو مجموعة المبادئ القانونية الموجهة لتنظيم العلاقات الخارجية التي تقوم بين مختلف هيئات أو أعضاء أشخاص القانون الدولي المكلفين بالعلاقات الخارجية.

وبطريقة أكثر وضوحا، يهتم القانون الدبلوماسي بممارسة وتقنين قواعد التمثيل الخارجي، وإدارة الشؤون الخارجية، وطرق قيادة المفاوضات وغيرها، فهو يهتم بدراسة الوظيفة الدبلوماسية والنشاط الدبلوماسي والموظفين الدبلوماسيين.

٤ (الدبلوماسية والتاريخ الدبلوماسي:

يهتم التاريخ الدبلوماسي بوصف تطور العلاقات بين الدول، حيث يركز على الأحداث الكفيلة بالتأثير في السياسة الخارجية كتسلسل المفاوضات وعرض الحوادث. فهو يدرس ماضي الدبلوماسية، وذلك بتتبع المراحل المختلفة التي مرت بها، وبيان ما حققه الدبلوماسيون في كل مرحلة، فهو يسجل مختلف إنجازات الدبلواسيين عبر التاريخ من مفاوضات ومعاهدات.

الدبلوماسية والقانون الدولي:

القانون الدولي هو مجموعة من القواعد التي تنظم العلاقات بين أشخاص القانون الدولي من خلال تحديد الحقوق والواجبات، فالعلاقة بينه وبين الدبلوماسية علاقة وثيقة ومتداخلة ويحكمها أمران:

أولاً: أن العلاقات والعادات الدبلوماسية لعبت دوراً هاماً في تشكيل القانون الدولي بمصدريه العرفي والاتفاقي.

ثانياً: أن القواعد القانونية التي تتعلق بالدبلوماسية وتنظيم عملها قد أصبحت جزء من القانون الدولي وهو ما يمكن تسميته بالقانون الدبلوماسي.

يُعد تعريف القانون الدولي العام (Public International Law) من الأمور غير المتفق عليها؛ إذ يوجد أكثر من مائة تعريف لهذا القانون، وتتعدد هذه التعريفات بتعدد المذاهب الفقهية ونظرتها لأشخاص القانون الدولي،حيث إنه في ظل المذهب التقليدي فإن الدولة هي الشخص الدولي الوحيد، في حين نجد أن المذهب الموضوعي يتجه إلى اعتبار الفرد هو شخص القانون الدولي الوحيد، أما في ظل الاتجاه الحديث فقد تغيرت النظرة إلى أشخاص القانون الدولي، فلم تعد الدولة وحدها هي الشخص الدولي الوحيد—كما يذهب أنصار المذهب التقليدي–، كما أن الفرد أيضًا ليس هو الشخص الدولي الوحيد كما ذهب أنصار المذهب الموضوعي.

ولكن مع التطور الذي طرأ على المجتمع الدولي أدى إلى توسيع من نطاق القانون الدولي العام ليشمل إلى جانب الدول التي تُعد من أشخاصه الرئيسية، المنظمات الدولية، والأشخاص الدولية الأخرى، وفي بعض الحالات الأفراد، وتحكم قواعده مختلف أشخاص القانون الدولي العام.

وفي ضوء تلك التطورات، يمكن تعريف القانون الدولي العام بأنه: "عبارة عن مجموعة من القواعد القانونية التي تحكم العلاقات بين أشخاص القانون الدولي العام وتحدد اختصاصات والتزامات كل منهم."وتأسيسًا على ما سبق يمكن القول بأنه في حين يبقى القانون الدولي قانونًا يحكم سلوك وتصرفات كيانات مستقلة ليس لها من حيث المبدأ أية سلطة قانونية على بعضها البعض، وبالتالي فإن القانون الدولي هو قانون تنسيقي أو رضائي، لا يعرف القسر المنظم إلا في حالات قليلة تكاد تكون محصورة، هذا ما يبرر كون كثير من أحكام القانون الدولي المستقرة كانت عرفًا مثل أساليب المفاوضة. وعليه، فإن للدبلوماسية دورًا فعالاً في تقريب وقائع كلٍّ من العلاقات الدولية والقانون الدولي.

ولأن الدبلوماسية تتحرك ضمن أصول وقواعد عامة ملزمة للأطراف الدولية، فإن تقنين وتنظيم هذه القواعد ضمن أحكام ملزمة هي القانون بحد ذاته، وبالتالي فالقانون الدبلوماسي هو ذلك الجزء الأساسي من الدبلوماسية والذي لا يمكن لهذه الأخيرة أن تعمل وتمارس أهدافها إلا بالترابط مع أحكام القانون الدبلوماسي.

ويعتبر القانون الدبلوماسي جزءاً من القانون الدولي العام، وهو في ذات الوقت نتاج التاريخ وانعكاس لتقليد قديم، وبامتلاك الدبلوماسية قواعدها العرفية والمكتوبة فإنها تملك أيضاً تاريخاً يعرف بالتاريخ الدبلوماسي، والذي يهتم بوصف تطور العلاقات بين الدول، وهو على حد تعبير "لويس دوللو" لا يذكر سوى الأحداث الكفيلة بالتأثير في السياسة الخارجية الخاصة بكل منها، وبالمقارنة مع تاريخ العلاقات الدولية، فالتاريخ الدبلوماسي يرتكز على تسلسل المفاوضات وعرض الحوادث، في حين أن تاريخ العلاقات الدولية يبحث عن أسبابها ويدرس قواها العميقة، وإذا تم النظر من أعلي إلى التاريخ الدبلوماسي لأمكن تجميعه في سلسلة أحداث سائدة تتبلور في مرحلة زمنية معينة بتسوية دولية كبيرة.

إذن فإن الدبلوماسية هي أكثر من مجرد تمثيل رسمي فهي ليست فن المجاملة ولا مجرد حوار هادئ خلف الأبواب المغلقة ، بل انها مزيج من الفهم والتفاوض والمهارة في ادارة التوازنات الدقيقة بين المصالح الوطنية والمجتمع الدولي تمارس ضمن قواعد محددة من القانون الدولي، وفهمها بدقة وإدراك مفهومها وتمييزها عن المفاهيم الأخري يعني كيف تدار السياسة من خلف الكواليس وكيف يصاغ السلام أو يمنع الصدام.



الأرمن والسينما المصرية

بقلم: د. سحر حسن أحمد

في زوايا الأزمنة المنصرمة، حيث كانت القاهرة تمضي في دروب الحداثة بخُطى متمهلة، وتغفو على ضفّتي النيل كعروس تتشح بسحر الشرق ودهشة الغرب، بزغ فجرٌ جديد لم يعرفه أهل المحروسة من قبل. لم تكن النخيل وحدها تهتز على نغمات الريح، بل كانت الأرواح تتهيّأ لاستقبال فنّ سيُغير الوجدان ويترك بصمته في ضمير الأمة... كانت السينما تولد.

لم يكن هذا الميلاد صاخبًا كصوت العاصفة، بل كان همسًا ناعمًا يُشبه وقع الحُلم على وسادة الليل. فمنذ اختراع آلة التصوير الفوتوغرافى فى عام ١٨٣٩ وتطورها حتى بداية القرن العشرين ، وتحديدًا فى يوم ٢٨ يناير ١٨٩٦، عرفت أرض مصر للمرة الأولى سحر الصورة المتحرّكة على يد الأخوين لوميار (Lumière)؛ ، ولكن ما جرى كان عرضًا للأفلام القصيرة التي أنتجها الأخوان لوميير في فرنسا. فكانت قاعة "سانتي" بالإسكندرية هي المسرح الأول الذي شهد ارتعاشة الشاشة البيضاء أمام أنفاس المدهوشين، الذين لم يصدقوا أن الصور تستطيع أن تتحرّك، وأن الزمن يمكن أن يُحبس داخل إطار من نور.

ومع ارتعاش الشاشة ودهشة العيون فتحت للمصريين بوابة جديدة إلى فن اسمه السينما – أحد فروع القوة الناعمة حالياً – .وهكذا بدأت الحكاية... حكاية لم تكن مجرّد تقليد لفتوحات الغرب، بل كانت نبتة مصرية أصيلة، تشربت من نهر النيل، وارتوت من تراب الحارة، وارتفعت على صوت الموال وعبق المقاهي القديمة.



وسرعان ما تحوّلت السينما في مصر من فرجة صامتة إلى وسيلة تعبير، ومن استيراد للفيلم الأجنبي إلى صناعة متكاملة تستنطق الحياة وتؤرخ للواقع وتوقظ الحلم.

في عشرينيات القرن المنصرم، خُطّت أولى سطور المجد السينمائي حين أنشأ محمد بيومي استوديو بسيطًا، وبدأ في إخراج أول الأفلام الصامتة، مثل "عودة الشرير"، ثم جاء فجر جديد مع فيلم "ليلى" عام ١٩٢٧م من إنتاج عزيزة أمير، التي تُعدّ بحق "أم السينما المصرية"، لتثبت أن الحلم لم يعد حكراً على الرجال، وأن الكاميرا تستطيع أن تكون امتدادًا لعين المرأة وقلبها وصوتها.

ومع حلول الثلاثينيات، بدأت ملامح السينما تتضح، وبدأت الاستوديوهات تتكاثر كما تتكاثر أشجار البرتقال في الربيع، وجاء الصوت ليُضيف سحرًا جديدًا على الصورة، فانطلقت أفلام الغناء والطرب والميلودراما، وأصبحت السينما المصرية مرآة للمجتمع وهمومه، وقصيدة حبّ للوطن وشعبه، ومنبرًا للضحك والبكاء والتأمل.

السينما المصرية لم تكن مجرد فن، بل كانت توثيقًا لذاكرة أمة، ومرآة لعصر بأكمله، ومسرحًا مفتوحًا للهوية المصرية وهي تتقلب بين تقاليد الماضي ورياح التغيير. من نجيب الريحاني إلى يوسف وهبي، ومن فاتن حمامة إلى عمر الشريف، ومن استوديو ناصيبيان واستديو مصر إلى مهرجانات كان وبرلين... كانت الرحلة زاخرة بالأحلام والانكسارات والانتصارات.

وهكذا، ما بين الأبيض والأسود، ثم الألوان، وما بين الأفلام الصامتة وأفلام الناطقة أفلام اليوم، تسير السينما المصرية كعاشقة تتكئ على كتف التاريخ، تُنقّب في وجدان المصريين، وتروي للعالم كله قصة بلد لا يموت فيه الحلم. إنها ليست مجرد كاميرا تدور، بل روح وطن تنبض على الشاشة، وتكتب بحروف الضوء والتعب والشغف: "هنا وُلدت السينما... وهنا لا تزال تحلم".

دور الارمن فى نشأة السيما المصرية

أسهم الأرمن فى بناء السينما المصرية منذ بدايتها ، وكانت أعمالهم جزء لا يتجزء من نجاح هذه الصناعة ؛ إذ أسهموا فى كل مجالات السينما خلف الكاميرا وأمامها ، وكان دورهم باراً فى تطوير الصناعة الفنية فى مصر من خلال الإخراج والتصوير والانتاج والتمثيل فنجد مثلا فى مجال الإخراج والتصوير برز لنا آراكيل أرتينيان (١٩١٠م — ١٩٧٩م) الذى عُد من أوائل المصورين الذين عملوا فى السينما المصرية، وكان له دور في توثيق الأحداث وإخراج الأفلام الوثائقية. ثم نجد فيلمون وهبي (١٩١٧م — ١٩٨٥م)، وهو من المصورين المبدعين الذين قاموا بدوراً في تطوير تقنيات التصوير السينمائي.

أما عن الإنتاج والتوزيع فكان الأخوين فوزي (حسين فوزى ١٩٠٤م -١٩٦٢م/ أسامة فوزى ١٩٦١م-٢٠١٩م) لهما دور في توزيع وإنتاج الأفلام، مما ساعد في نشر السينما المصرية . كما قام الأخوين نيازي وهما المخرجان والمؤلفان السينمائيان المصريان "نيازي مصطفى" و" أحمد نيازي"، وقد تركا بصمة واضحة في صناعة السينما المصرية، خاصةً في فترة الأربعينيات والخمسينيات.؛ إذ اشتهر نيازي مصطفى بإخراج العديد من الأفلام الناجحة التي تناولت قضايا اجتماعية وسياسية، بينما عمل أحمد نيازي في الإنتاج والإخراج أيضًا. ومن ثم كان عملهما في مجال إنتاج وتوزيع الأفلام له تأثير واضح في ازدهار الصناعة .

تصميم الأزياء السينمائية

وبالنسبة للماكياج وتصميم الأزياء لعب الأرمن دورًا مهمًا في فن الماكياج السينمائي وتصميم الأزياء، حيث تميزت الأرمنيات في تصميم الملابس للفنانين، مثل نازلي وآن تلميان الأرمنياتان اللتان اشتهرتا بتجهيز إطلالات دقيقة وحساب كل تفصيل، لتجسيد شخصيات الفنانات في الأعمال التاريخية والاجتماعية، بأسلوب يمزج الأصالة باللمسة العصرية . فكانت السيدة نازلى تهتم بالأقمشة الفاخرة مثل الشيفون والحراير الفاخرة عوضاً عن الأقمشة المعدنية الثقيلة شرطة أن تكون الملابس متماشية مع وضع المرأة ونمط حياتها داخل القصة، وقد ظهرت في أعمال تستلزم دقة زمنية مثل ملابس الحقبة الملكية. أما السيدة آن نليمان فكان يُقال عنها أن التزامها كان بنفس دقة نازلي في تحقيق التاريخية في المشهد، واتباع أساليب التصميم الشرقي المتوازن مع قواعد الجمال المعروفة آنذاك، دون التوسع في الديكور الزائد. هذه المصممات الأرمنيات كان لهن دور في إخراج الأعمال بمظهرها الراقي، من خلال الحرص على الجودة والدقة في خلق ملابس لا تروق فقط للعين، بل تأتي كأدوات درامية تدعم التشكل النفسي للشخصيات.

الدعاية والإعلان

كما كان للأرمن دور في طباعة الملصقات السينمائية، ومن أشهر العاملين في هذا المجال أستوديو "أونيان" المتخصص في الدعاية السينمائية. الذي أسّسه

أوهـان أوهـانيس هـاجوب كوسـتنيـان (١٩١٣م – ٢٠٠١م)، أحـد الأسمـاء البـارزة في الطبـاعـة والنشـر السينمائي في مصر؛ إذ يُعد علامة بارزة فى تاريخ التصوير السـينمائى ، حيث تأسـس عام ١٩٤٤ كأحد الأذرع السـينمـائية، وامتلك معدات متطورة مثل الكاميرات وأجهزة المونتاج والتحميض (مثل آلات السـكوب وأحد معامل الألوان) ، وقد أسهم الأستوديو في تصوير وإخراج إعلانات لأفلام عـديدة وكـان متسـماً بالـدقة والتقنية الحديثة، حتى أصبح جزءاً أساسياً من صناعة الملصقات والدعاية. كما تم تصوير عدد من الأفلام داخل الإستديو كان على رأسها، فيلم عنتر وعبلة إخراج نيازى مصطفى ، وكذلك فيلم ابن حميدو ، الغول ، شقة الأستاذ حسن، وعاشت للحب، إلى جانب مشاركات في المسلسلات .

الأرمن أمام الكاميرا: حضور لا يُنسى في ذاكرة السينما في صمت الكاميرا وقبل أن تنطلق عدستها، كان الأرمن حـاضـرون... لا خلف الكواليس فقط، بـل في قلب المشهد، على خشبة الحلم، أمام الأضواء، ممثلين، مغنين، ونجومًا سـكنوا وجدان الجماهير. لم تكن مشـاركتهم في السينما المصرية مجرد ظهور عابر أو أدوار ثانوية، بل كان حضورًا أصيلًا ومؤثرًا، أضفى على الشاشة نكهة مختلفة، وملأها بأداء مشحون بالإحساس والمهارة. فمنذ بدايات السينما، لمع نجم العديد من الفنانين الأرمن الذين أسهموا بموهبتهم الفطرية وثقافتهم الرفيعة في تشـكيل ملامح العصـر الذهبي للفن المصـري. فظهروا في أدوار البطولة والطفولة والكوميديا والـدراما، وجـذبوا الأنظار بقـدرتهم الاسـتثنائية على التعبير والإقناع. كانت الطفلة المعجزة فيروز تغني وترقص وتبكي فتأسـر القلوب، وكانت نيللي تبهر الجماهير بفوازيرها، ولبلبة تمزج بين الطفولة والذكاء، أما ميمي جمال فكانت صـوتًا ناعمًا يتغلغل في عمق كل مشـهد تشـاركه. تجاوز هؤلاء الفنانون أصـولهم العرقية، وانصـهروا في نسـيج السـينما المصـرية حتى صـاروا جزءًا من وجدانها، ومن ملامحها التي لا تُنسـى. لم يحملوا فقط تراثًا أرمنيًـا غنيًـا، بـل نقلوه عبر الأداء إلى ملايين من المشـاهدين الذين لم يسـألوا عن الأصـل، بل انحازوا للموهبة، وللفن حين يكون صـادقًا وعميقًا. إن الأرمن أمام الكاميرا لم يكونوا مجرد ممثلين، بل شـهودًا على لحظة إبداع مصـرية خالصـة، شـاركوا في صـنعها، وتركوا فيها بصمتهم التي لا تزال تلمع في ذاكرة السينما حتى اليوم.

أمام عدسة الكاميرا، برزت أسماء أرمنية تركت بصمة مميزة في تاريخ السـينما المصـرية، من بينهم الممثلة فيكتوريا كوهين (١٨٩١–١٩٦٦)، وهي فنانة من أصـول أرمنية اشتهرت في الأربعينيات والخمسينيات بأدوارها الكوميدية الثانوية، التي كانت تضـفي طابعًا مرحًا وخفيفًا على الأفلام التي شـاركت فيها. وبرغم محدودية أدوارها، فإن حضـورها كان لافتًا ومحببًا لدى الجمهور. من أبرز أعمالها المسـرحية مشـاركتها في مسـرحية "أنا فين وإنت فين" إلى جانب الفنانة شـويكار والنجم فؤاد المهندس، حيث أظهرت خفة ظل وقدرة على التفاعل المسرحي العفوي.

أما إلياس مؤدب (١٩١٦–١٩٥٢)، فكـان واحدًا من أبرز وجوه الكوميديا في السـينما المصـرية، وتميز بأسـلوبه الفكاهي الفريد، ولهجة شـامية محببة جعلته أحد الوجوه التي لا تُنسى. تعاون كثيرًا مع إسماعيل ياسين في عدد من الأفلام التي شكلت علامات بارزة في الكوميديا المصرية. ومن أشـهر أعماله: حبيب العمر، السـتات عفاريت، الروح والجسـد، عنبر، كلام الناس، النمر، وبيت النتاش. وقد ترك رغم رحيله المبكر إرثًا فنيًا حافلًا بالمحبة والضحك والمرح الذي لا يزال حيًا في ذاكرة الأجيال.

وأيضـاً الـفـنـانـة نازلي آرتـين كـالـفـايان (Fayrouz – Perouz Artin Kalfayan) الشـهيرة بالطفلة فيروز ، وقد وُلِدت عام ١٩٤٣ في القاهرة لعائلة أرمنية . وبدأت مشوارها الفنية في سن السابعة، وشاركت في أكثر من ١٠ أفلام حيث أدّت أدوار طفلتي الغناء

والرقص . ولقّبت بـــ"معجزة الطفولة" في السينما العربية، وتوفيــت في القــاهرة عــام ٢٠١٦م عن عمرٍ ناهز ٧٢ عــامًــا، أمــا الفنــانــة نيللي آرتين كــالفــايان (Nelly Artin Kalfayan) التى وُلــدت في ٣ ينــاير ١٩٥١ م في القــاهرة، وهي أخــت فيروز وهى متعــددة المواهب: ممثلة، مغنية، راقصــــة، كوميدية، ونجمة برامج "فوازير رمضــان". وقد حصــلت على "جائزة الهرم الذهبي لإنجاز العمر.

ونجـد كـذلـك الـفـنـانـة نـونـيـا كـوبـيـلـيـان (Lebleba – Ninochka Manoug Kupelian) الشهيرة بـلـبـلـبـة والـتى وُلـدت في ١٤ نـوفـمـبر ١٩٤٦ م في القــاهرة، وهى وابنــة عم نيللي وفيروز . وقــد بــدأت مشورها الفنى منذ عمر ٥ سنوات، وقد قدمت أكثر من ٦٠ فيلمًا، ومسلسلات ومسرحيات، ونالت جوائز محلية ودولية . كمــا حصـــلت على "جائزة الهرم الذهبي" من مهرجان القاهرة السينمائي عام ٢٠٢٢م .

وهناك الفنانة إيمان سركسيان (Eman Sarkisian) اسمها الحقيقي إليزابيت طوروس ســركســيان ولدت فى أول يناير ١٩٤٥م ، ممثلة لبنانية – مصرية، من أصل ارميني عُرفت باسم ليز سركسيان ومن بعدها إيمان، بدايتها الفنية كانت في الخامسة من عمرها عندما اشتركت مع الجمعية الأرمنية في بيروت في حفـل غنـت ومثلـت فيه باللغـة الأرمنيـة ، وعملت فى مجال السينما المصرية وقدمت العديد والعديد من الفلام المصـــرية وكذلك قدمت مســـرحيات أيضـــاً وكذلك قدمت عدد من المسلســلات. أما الفنانة ميمي جمال (Mimi Gamal – Mary Nizar Julian) حسب المصــادر الأرمنية، اسمها الحقيقي Mary Nizar Julian، من أصــول أرمنية ، ظهرت في عدة أفلام، وعُرفت بجمال أدائها في السينما المصرية خلال القرن العشرين.

وعــن الــفــنــانــة هــدى شمــس الــديــن (Hoda Shamseddine) وُلدت في ٢٧ يناير ١٩٢٥م، اسمها الحقيقي أليس التحقت بالمدرسة الأرمينية وأشتركت بعد تخرجها بفرقة بديعة مصـــابني كراقصـــة ثم فرقة فؤاد الجزايرلي الذي قدمها للسـينما في سـنة ١٩٤٥ م في دور ثانوي في فيلم الحظ السـعيد. بعدها اشــتركت بالرقص والتمثيل في عدة أفلام ثم اعتزلت الرقص والعمل الفني في منتصــف الســتينيات وابتعدت عن الأضــواء تماما حتى وافتها المنية في عام ٢٠٠٢م.

كذلك الممثلة أني بربريان هي ممثلة ولدت في مصـــر من أصول أرمينية، واسمها الكامل هو نورا آرماني. عملت في المسـرح والسـينما في مصـر وهوليوود وأوروبا. وتُعد ممثلة ومنتجة مصـــرية من أصـــول أرمينية. تلقت تعليمها في المدرســة الأرمنية نوباريان، ثم درســت المسـرح في الجامعة الأمريكية في القاهرة. عملت مع الفنان محمد صبحي في مســـرحية "ملك ســـيام" قبل هجرتها من مصـــر عام ١٩٧٩م. قضــت ١٢ عامًا في هوليوود وحصـــلت على الجنســـية الأمريكية قبل أن تســـتقر في باريس ولندن. تتحـدث ٦ لغـات وتشـــارك في العـديـد من الأفلام والمسرحيات حول العالم، وحصلت على جوائز عدة.

لطالما شكّل الأرمن جزءًا أصيلاً وفعّالًا في المشهد الثقافي والفني المصـــري، حيث لم يكن وجودهم مجرد حضـــور ســكاني أو اجتماعي، بل كان اندماجًا خلاقًا أســهم في تشــكيل هوية مصــر الحديثة، خاصــة في مجالات الفن والصـــناعات الإبداعية. فمنذ أن بدأت موجات الهجرة الأرمنية إلى مصـر في أواخر القرن التاسع عشـر، هربًا من المذابح العثمانية والاضطرابات السياسية، وجد الأرمن في أرض الكنانة وطنًا بديلاً وبيئة خصبة للتعبير عن مواهبهم وشغفهم بالفنون.

ومع بدايات القرن العشـــرين، بزغ نجم الأرمن كمبدعين في أكثر من حقـل فني، فكـانوا من أوائـل من التحقوا بمســارات التصــوير الفوتوغرافي في مصــر، وبرزت أسماء أرمنية رائـدة في هـذا المجال مثل "فـان ليو"، الـذي وثّق

بكاميرته ملامح مجتمع بأكمله، وصار اسمه مرادفًا لفن البورتريه الراقي. كذلك برع الأرمن في مجال الطباعة والنشر، وأسّسوا مطابع وصحفًا ومجلات أسهمت في نشر الفكر والثقافة، وكان لهم أثراً كبيراً في تطوير تقنيات الطباعة والإخراج الفني.أما في مجال الحرف اليدوية، فقد احتفظ الأرمن بتقاليدهم العريقة في صناعة السجاد، والنقش، والمشغولات الدقيقة التي تميزت بالذوق الرفيع والإتقان، وامتزجت مهاراتهم التراثية مع الحس المصري ليصنعوا منتجًا فنيًا مميزًا يجمع بين الشرق والغرب.

إن مساهمة الأرمن في الحياة الفنية المصرية لم تكن هامشية أو عابرة، بل كانت عميقة ومستدامة، حيث أسهموا في نقل مصر إلى مصاف الدول ذات الإنتاج الثقافي المزدهر، ونسجوا بخيوط موهبتهم الفطرية خريطة الفن المصري الحديث.

ومن ثم كانت إسهاماتهم واضحة في التصوير السينمائي، حيث كانوا من أوائل من أدخلوا تقنيات متقدمة في الإضاءة والتصوير، وساعدوا في تأسيس استوديوهات متخصصة، مثل استوديو ناصبيان، الذي أسسه المصور الشهير هرانت ناصبيان(١٨٨٨ – ١٩٨٠م) . ولم يقتصر دورهم على التصوير، بل امتد إلى المونتاج، الإخراج، وتصميم الديكورات السينمائية، مما جعلهم جزءًا أساسيًا من صناعة السينما المصرية الناشئة.

أهمية التصوير السينمائي كعنصر أساسي في صناعة السينما

يُعد التصوير السينمائي حجر الزاوية في العمل السينمائي، فهو العين التي ترى بها القصة، والنافذة التي يطلّ منها الجمهور على العوالم الدرامية والخيالية. فالصورة ليست مجرد تسجيل للحدث، بل هي لغة بصرية كاملة تنقل المشاعر، وتعزز الحبكة، وتخلق الإيقاع البصري للعمل، وتؤثر في المتلقي بعمق يفوق الكلمات.

في قلب هذه اللغة يقف مدير التصوير، ذلك الفنان الذي يتحكم في الإضاءة، وزوايا الكاميرا، وحركة العدسة، ليحوّل النص المكتوب إلى مشاهد نابضة بالحياة. فاختيار الإضاءة الدافئة أو الباردة، اللقطة القريبة أو البعيدة، الزاوية المرتفعة أو المنخفضة، كلها قرارات تُتخذ بعناية، لتخدم الحالة النفسية للشخصيات، وتُبرز تفاصيل الحدث، وتوجه انتباه المشاهد إلى حيث ينبغي أن يراه.

التصوير السينمائي لا يكتفي بعرض الواقع، بل يعيد تشكيله، ويمنحه أبعادًا جمالية وفكرية. فهو من يمنح للمكان روحًا، وللزمان نغمة، وللأشياء رمزية. وقد تطور هذا الفن على مرّ العقود ليصبح أداة سرد متقدمة، حيث لا تُروى القصة فقط بالحوار، بل بالصورة التي تتحدث وحدها، أحيانًا بصمت أبلغ من كل الكلمات.

وإذا كانت السينما هي "الفن السابع"، فإن التصوير السينمائي هو لغة هذا الفن، وسحره الخفي. فكم من فيلم عالق في ذاكرة الناس ليس بسبب الحوار أو الموسيقى، بل بسبب صورة لمشهد صامت، أضاءته عدسة بارعة، وكتبته كاميرا ذكية بمداد من الضوء والظل.

ولاشك أن التصوير الفوتوغرافي تطور بشكل ملحوظ منذ اختراع الكاميرا في العصر الحديث منذ أوائل القرن التاسع عشر، عندما تمكن جوزيف نيبس (١٧٦٥ – ١٨٣٣م) من التقاط أول صورة ثابتة في ١٨٢٦ م باستخدام مواد حساسة للضوء. بعد ذلك، في ١٨٣٩م ، ثم قدم لويس داجير (١٧٨٧ – ١٨٥١م) تقنية الداجيروتايب، التي سمحت بتثبيت الصور بشكل أسرع وأوضح.

ثم جاء ويليام تالبوت (١٨٠٠ – ١٨٧٧م) في ١٨٤١م مع اختراعه الكالوتايب الذي سمح بإنتاج نسخ متعددة من الصورة.

ومع نهاية القرن التاسع عشر، بدأت الكاميرات تتحسن من حيث الحجم والتقنية، مما جعل التصوير أكثر دقة وسهولة.

وفي بداية القرن العشرين، أصبح التصوير الفوتوغرافي

جزءًا أساسيًا من صناعة السينما، حيث تطورت تقنيات الكاميرات لتسجيل الحركة. كان التصوير السينمائي يعتمد على تقنيات التصوير الفوتوغرافي، حيث كانت الفيلم الفوتوغرافي يعرض الصور بشكل متتابع، ليخلق ما يُعرف الآن بالسينما. في القرن العشرين، تطورت السينما لتصبح صناعة مستقلة مع إضافة الألوان، وتطور الإضاءة والمونتاج، مما جعل التصوير الفوتوغرافي جزءًا أساسيًا في صناعة الأفلام، من التقاط الصور الثابتة إلى خلق الحركة والصورة المتحركة. ومن ثم يُعتبر التصوير السينمائي الركيزة البصرية لأي فيلم سينمائي، فهو الذي يحدد شكل الصورة السينمائية وأسلوبها. التصوير لا يقتصر فقط على تشغيل الكاميرا، بل يشمل عدة عناصر مثل: الإضاءة، التي تخلق الأجواء البصرية وتعزز الإحساس بالمشهد. وتكوين اللقطة، الذي يؤثر على طريقة تفاعل الجمهور مع القصة. وأخيراً حركة الكاميرا، التي تضيف ديناميكية وحيوية للمشاهد السينمائية.

في السينما المصرية، كان للمصورين الأرمن مثل هرانت ناصبيان دوراً مهماً في تطوير هذه الجوانب، حيث أدخلوا أساليب جديدة في التصوير، واستخدموا أحدث الأجهزة والمعدات التي كانت متوفرة في ذلك الوقت، مما جعله يتفوق على كثير من منافسيه. ورفعوا من جودة الأفلام بصريًا. وكان تصويرهم يتميز بالدقة والإبداع، مما أسهم في خلق هوية بصرية للسينما المصرية في مراحلها الأولى. بفضل هؤلاء الرواد، أصبح التصوير السينمائي المصري أكثر احترافية وتطورًا، مما ساعد في بروز مصر كواحدة من أهم مراكز صناعة السينما في العالم العربي. وكان لهرانت دوراً كبيراً في تصوير الأفلام الوثائقية والصور الفوتوغرافية التي وثقت الحياة اليومية في مصر، مما أسهم في إنشاء أرشيف بصري غني يعكس تاريخ تلك الفترة.

هرانت ناصبيان هو أحد أبرز المصورين الأرمن الذين تركوا بصمة عميقة في السينما المصرية وشاركوا بشكل كبير في نهضتها الفنية والتقنية. وُلد هرانت ناصيبيان في٢٩ نوفمبر ١٨٨٨م في الاستانة (إسطنبول حالياً) وكانت عائلته جزءًا من الجالية الأرمنية التي استقرت في المنطقة العثمانية قبل أن تُهاجر إلى مصر في أوائل القرن العشرين، وهاجر معهم إلى مصر فى عام ١٩٠٥م ، نشأ ناصبيان في بيئة أرمنية ثقافية غنية، فكان لديه اهتمام مبكر بالفنون والتكنولوجيا، إذ جاء إلى مصر للبحث عن فرص أفضل في مجال التصوير الفوتوغرافي، حيث شهدت مصر فى تلك الفترة ازدهارًا في الصناعات الإبداعية والفنية.

بدأ ناصيبيان مسيرته المهنية في شركة كوداك. حيث اكتسب خبرات كبيرة في مجال التصوير الفوتوغرافي والسينمائي. في البداية عمل في فرع الشركة بالإسكندرية، وسرعان ما أثبت كفاءته ليصبح مديرًا لهذا الفرع في الفترة من ١٩١١ م حتى ١٩١٨م. وبفضل مهاراته وابتكاراته، تولى منصب رئيس قسم آلات التصوير في القاهرة بداية من ١٩١٩م، حيث كان له دور محوري في تطوير تقنيات التصوير الفوتوغرافي في مصر. خلال هذه الفترة، أسهم هرانت ناصبيان في تطوير التصوير الفوتوغرافي والسينمائي في مصر، مستفيدًا من خبراته التقنية التي اكتسبها في أوروبا، ما جعله من الشخصيات الرائدة في هذا المجال.

ظل ناصيبيان يحتفظ بجذوره الأرمنية، وكان نموذجًا للنجاح الذي حققه الأرمن في مصر في القرن العشرين في مجالات عديدة، أبرزها التصوير، مما جعله أحد الأسماء اللامعة في تاريخ السينما المصرية. ولم يقتصر ناصبيان على التصوير الفوتوغرافي، بل كان له إسهامات مهمة في التصوير السينمائي أيضًا، حيث أسهم في تطوير أساليب الإضاءة والإنتاج السينمائي المبكر. كان تصويره يتميز بالدقة والابتكار، وكان يستخدم تقنيات جديدة ساعدت في تحسين جودة الأفلام السينمائية في تلك الفترة. يُعد هرانت ناصبيان حلقة وصل بين الفنون البصرية الغربية والتقاليد الفنية المصرية، فقد جلب خبراته الأوروبية إلى مصر، مما ساعد في رفع مستوى التصوير السينمائي المصري بشكل كبير.

تأسيس استديو ناصيبيان

أسس هرانت ناصيبيان استوديو ناصيبيان في شارع المهراني بالفجالة عام ١٩٣٥م، أي في العام التالي لإنشاء استوديو مصر ، أحد أعرق الاستوديوهات في مصر – الذى أنشأه طلعت حرب باشا– فكان بذلك ثانى استديو يُقام فى مصر ، وقد بلغت مساحة الإستديو

نصــــف فدان وبه بلاتوه واحد فى عام (١٩٣٧م) تُقام فيه الديكورات لتصوير المناظر الداخلية ، وصالة تسجيل ومعمــل طبع وتحميض الأفلام، بخلاف غرف الممثلين والماكياج والمونتاج ، وقد شغل منصب مدير المعمل الفنان فاهى أرمناك، وكان يقوم بالتصــوير المصــور ف. فاركاش لقد كان استوديو ناصيبيان واحدًا من الاستوديوهات التي أسـهمت بشـكل ملحوظ في صـناعة السـينما المصـرية، وأصبح له دور كبير في تطور التصوير السينمائي في تلك الحقبة.

كان الاستوديو من أول الاستوديوهات الخاصة التي تُنتج أفلامًا بشــكل مســتقل. كانت بداية الإنتاج الســينمائي فى اسـتديو ناصـيبيان بفيلم "الحب المورسـتاني"، الذي تم إنتـاجه عـام ١٩٣٧م، وعُرض في القـاهرة في ١٨ فبراير ١٩٣٧م. وقـد عُرف هـذا الفيلم باعتبـاره أول إنتـاج سينمائي من استوديو ناصيبيان، وكان يعكس إمكانيات التصوير العالية التي كان يتمتع بها الاستوديو، إضافة إلى تقنيات الإضاءة والمونتاج التي برع فيها هرانت ناصبيان.

استمر الاسـتوديو في إنتاج العديد من الأفلام التي كانت تُعرض في السينما المصرية، حيث وصل عدد الأفلام التي تم إنتـاجهـا إلى حوالى ٢٠٠ فيلمـاً، وذلـك بالتعـاون مع شركات إنتاج متنوعة. لم تقتصـر أهمية استوديو ناصيبيان على كونه مركزًا للإنتاج، بل كان مرجعًا في التصــــوير السينمائي، حيث قدم تقنيات جديدة ومتطورة ساعدت في تحســين جودة الأفلام البصــرية في تلك الفترة. كانت أكثر فترات عمل اســتديو ناصــيبيان ازدهاراً فى الفترة من نهاية الحرب العالمية التانيه ١٩٤٥م إلى ثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢م ـــــ وبعد الثورة مباشـرة، قام ناصـيبيان بتأجير الاسـتوديو، وسـافر من مصـر، وكان يتابع نشـاط تأجيره لفترة طويلة.

وذلــك قــبــل أن يــعــود إلى مصــــر مــرة ثــانــيــة فى عهد الرئيس محمد أنور السادات، ليقوم ببيع الإستوديو إ؟لى جمعية النهضـــة العلمية والثقافية — جزويت القاهرة ويُسافر نهائيا.

أهمية استديو ناصيبيان

استوديو ناصيبيان كان ذا أهمية خاصة في تطوير الجانب التقني للتصوير السينمائي، وأصبح مع مرور الوقت جزءًا أسـاسـيًا من المشـهد السـينمائي المصـري. أهمية اسـتوديو ناصـــيبيان في مجال التصـــوير تكمن في دوره المحوري في تطوير التصـوير السـينمائي المصـري خلال فترة نشـاطه. فاستوديو ناصيبيان، الذي أسسه هرانت ناصبيان في عام ١٩٣٥م، كـان من أبرز الاســـتوديوهـات التي أثرت في صناعة السينما المصرية، وخاصة في الجانب التقني المتعلق بالتصوير والإضاءة.

أسباب أهمية استوديو ناصيبيان في مجال التصوير:

١. الابتكار في تقنيات التصــوير: كان هرانت ناصــبيان معروفًا بتطويره لتقنيات الإضاءة والتصوير السينمائي، مما جعل اسـتوديو ناصـيبيان من أبرز الأماكن التي شـهدت تطورًا في هذه التقنيات في السينما المصرية. فقد قدم طرقًا متطورة في التحكم بالإضـاءة والظلال، مما أسـهم في رفع جودة الصور السينمائية.

٢ .تحقيق أعلى مستويات الدقة البصـرية: اهتم اسـتوديو ناصـيبيان بتحقيق دقة عالية في تصـوير الأفلام، ما جعل الأفلام التي تم تصـويرها فيه تتميز بوضـوح التفاصـيل، مما أضـــاف إلى القيمة الفنية للأعمال الســـينمائية في تلك الحقبة.

٣. تأثيره على الصورة السينمائية المصرية: كان لاستوديو ناصـيبيان تأثير عميق على الصـورة السـينمائية المصـرية، حيث ســاهم في تشـــكيل هوية بصـــرية مميزة للأفلام، ممـا جعلهـا قـادرة على التنـافس على مســـتوى الجودة مع السينما العالمية.

٤. التجهيزات والتكنولوجيا المتقدمة: كـان اســـتوديو ناصــــيبيان مزودًا بأحدث المعدات الفوتوغرافية والتقنيات

السـينمائية في ذلك الوقت، مما جعل تصـوره للتصـوير السـينمائي يواكب التطورات العالمية في مجال السـينما. وكان الاسـتوديو مكانًا للأفلام التي تسـتخدم تقنيات جديدة في التصوير، مما رفع من مستوى الإنتاج الفني.

٥.إنتـاج أفلام ذات جودة فنيـة عـاليـة: من خلال الاستوديو، تم إنتاج العديد من الأفلام التي تميّزت بصورها السـينمائية الجميلة، وأصـبح الاسـتوديو مرجعًا مهمًا في صناعة السينما المصرية.

٦.إسـهامه في التقنيات البصـرية للسـينما المصـرية: كان يُعد مركزًا تقنيًا متطورًا أسـهم في تقديم تصـورات فنية مبتكرة في مجال السينما البصرية، إضافة إلى تقديم أفلام كانت تحتوي على أسـاليب تصـوير جديدة جعلت السينما المصرية أكثر احترافية

ومن ثم، فإن اسـتوديو ناصـيبيان كان له دور محوري في تعزيز التصـوير السـينمائي في مصـر، من خلال تقديم تقنيات وأسلوب تصوير جديد، وهو ما ساعد في إرساء معايير جمالية وتقنية جديدة للسـينما المصـرية في تلك الفترة.

أبرز أعمال هرانت ناصـبيان في التصـوير الفوتوغرافي والسينمائي

تتمثل في مجموعة من الأعمال التي شـكلت معالم مهمة في تاريخ السـينما المصـرية، سـواء من خلال اسـتوديو ناصيبيان أو من خلال إسهاماته الشخصية في التصوير الفوتوغرافي من قبيل :

• في مجال التصـوير الفوتوغرافي ،كان ناصـبيان معروفًا بتوثيق الحياة اليومية في مصر من خلال تصوير مشـاهد حياتية للمجتمع المصـري في بداية القرن العشـرين. كان يسـتخدم مهاراته الفوتوغرافية لتوثيق الأحداث المهمة والتفاصـيل الثقافية والاجتماعية في القاهرة. قام هرانت ناصيبيان بتوثيق العديد من الأحداث التاريخية التي جرت في مصر، مثل الثورة المصرية عام ١٩١٩م، وتغيرات الحياة في القاهرة خلال فترة الاحتلال البريطاني. كان تناول في صـوره الحياة العصرية والحداثة التي بدأت تظهر في مصر في تلك الفترة كما قام ناصـبيان بتصـوير العديد من الشـخصـيات العامة والفنانين المصريين، مما جعل صورته جزءًا من أرشيف تاريخ الفن المصري في تلك الحقبة. وقد كان يُعتبر من أبرز مصوري الحفلات والمناسبات الكبرى التي أقيمت في مصر، سواء كانت ثقافية أو اجتماعية، مما جعل أعماله تحمل طابعًا تاريخيًا وثقافيًا يبرز التفاعل الاجتماعي والاقتصادي في تلك الفترة.

في مجال التصوير السينمائي:

الحب المورستاني١٩٣٧

يعتبر فيلم "الحب المورسـتاني" الذي أُنتج في اسـتوديو ناصـيبيان أول إنتاج سـينمائي من الاسـتوديو، والذي تم تصـويره بواسـطة هرانت ناصبيان. يُعتبر هذا الفيلم أحد أهم أعمـالـه، حيـث عُرض في القـاهرة في١٨ فبراير ١٩٣٧م قصة وحوار بشارة واكيم، سيناريو وإخراج ماريو فولپي مونتاج ماهى بويا چيان تمثيل مارى منيب وبشـارة واكيم وأمينة محمد وعبد اللطيف جمجوم وتدور أحداثه حول علاقة غرامية وملابسـاتها. وكان له تأثير كبير في تطوير صناعة السينما المصرية.

١. الإنتاج السـينمائي في اسـتوديو ناصـيبيان: تحت إشـرافه، تم إنتاج العديد من الأفلام التي أظهرت تقنيات التصـوير المتطورة التي كانت متوفرة في ذلك الوقت، وأصـبح اسـتوديو ناصـيبيان من أهم الاسـتوديوهات في مصـر. تم إنتاج حوالي ٢٠٠ فيلمًا في الاسـتوديو، وكان يشـارك في تصـويرها وتقديم المسـاعدة التقنية للإضـاءة والمونتاج.

٢. التعاون مع شركات إنتاج أخرى: بالإضافة إلى أعماله الخاصـة، قام هرانت ناصبيان بالتعاون مع شـركات إنتاج متنوعة، حيث سـاعد في تصـوير العديد من الأفلام التي كان لها تأثير كبير في السينما المصرية. كان يتمتع بسمعة كبيرة في مجـال التصـوير الفوتوغرافي والسـينمـائي، مما جعله يتعاون مع عدد من الشركات الإنتاجية المختلفة.

أهم الأعمال التى قدمها " استوديو ناصيبيان"

من أهم الأعمال التى قدمها " استوديو ناصـيبيان" فيلم "الدكتور" عام ١٩٣٩م ، من بطولة سـليمان نجيب، وأمينة رزق، وإخراج نيازى مصطفى.

واقتصـر دور "اسـتوديو ناصـيبيان" مع "الدكتور" على الإعداد فى المعامل .

ولكن أول فيلم أنتج بكامله داخل الأستوديو، فكان "انتصار الشباب" عام ١٩٤١م، من إخراج أحمد بدرخان، وبطولة أسمهان وفريد الأطرش. أما آخر فيلم تم تصويره داخل "ناصيبيان", فكان "إحنا بتوع الأتوبيس" عام ١٩٧٩ م من إخراج حسين كامل وبطولة عادل إمام وعبد المنعم مدبولى.

وما بين هذه الأفلام الثلاثة التى تمثل بداية ونهاية نشاط الإنتاج السينمائى داخل استوديو ناصيبيان، تم تصوير العديد من كلاسيكيات السينما المصرية، مثل: "عروس النيل"، و"الفتوة"، و"المعجزة"، و"شفيقة ومتولي"، و"شيء فى صدرى، و"أم العروسة"، و"الحفيد"، و"باب الحديد" ، و" دعاء الكروان " ، و" ليلة الدخلة " ، و" المعلم بلبل " ، و" بنت الشاطئ" ، و " بين الأطلال" و " مغامرات إسماعيل يسن" و " فى بيتنا رجل" ، و " الراجل دة هيجننى " ، و" أعز الحبايب" ، و" مولد يادنيا" ، و" أخو البنات."

وكان لوجود استوديو داخل منطقة "الفجالة"، وبين منازلها وشوارعها، أن قام كثير من المخرجين باستغلال هذه المنازل فى تصوير المناظر الخارجية للعديد من الأفلام مثل "فى بيتنا رجل"، و"الحفيد"، حيث تم التصوير الخارجى أمام المنازل المقابلة للأستوديو. أما فى حالة فيلم "باب الحديد"، فقد استغل المخرج الكبير يوسف شاهين شارع الفجالة الرئيسى كأحد أهم الشوارع التى تدور فيها أحداث الفيلم.

لا شك أن أعمال هرانت ناصبيان في التصوير الفوتوغرافي والسينمائي كانت تُعد معيارًا فنيًا وتقنيًا في عصره، حيث قدم أساليب مبتكرة في الإضاءة والمونتاج، مما جعل له تأثيرًا طويل الأمد في تطوير التصوير السينمائي في مصر.

وهكذا، لا يمكن الحديث عن ذاكرة السينما المصرية دون أن نمرّ عبر الظلال الناعمة التي تركها الأرمن على عدستها، ولا أن نستعرض مجد الشاشة الفضية دون أن نلمح البصمات الدقيقة التي خطّها فنانون ومبدعون من هذه الجالية العريقة. لقد لمعت أسماؤهم في زوايا الإضاءة، خلف الكاميرا وأمامها، في صوت المونتاج ونبض الأفيش، في ضحكة طفلٍ صغير على المسرح، أو في ثوب ملكةٍ تاريخية تجوب الأزمنة.

كان حضور الأرمن في السينما المصرية أشبه بخيطٍ ذهبيّ ينساب في نسيج حريري، لا يظهر دائمًا بوضوح، لكنه يمنح القماشة بريقها وسحرها الخاص. جاؤوا حاملين إرثًا من الحرفية، وذوقًا فنيًا موروثًا، وروحًا عاشقة للفن، فصاروا جزءًا من الحلم المصري، ومن تفاصيل صورة لا تزال تنبض بالحياة على شاشات الذاكرة.

لقد قدّم الأرمن لمصر أكثر من مهارة... قدّموا محبة خالصة للفن، ورغبة صادقة في الجَمال، وأثبتوا أن الفن حين يولد من القلب، لا يعرف حدودًا ولا لغات، بل يعيش في الوجدان، ويُخلَّد في الضوء.

أرمينيا والأرمن

بقلم: رباب محمد سليمان

الهيئة الوطنية الأرمنية

فى ٢٥ أبريل ٢٠٢٥، بحضور نخبة من المثقفين والكتاب والسياسيين والصحفيين، عقدت الهيئة الوطنية الأرمنية في مصر ندوة، تحت عنوان القضية الأرمنية في فكر الزعيم الكردي عبدالله أوجلان، بمناسبة الذكرى ١١٠ للإبادة الأرمنية التي وقعت في ٢٥ أبريل ١٩١٥ على يد العثمانيين، وقد حاضر فيها الأستاذ الدكتور محمد رفعت الإمام أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر، وأدارها كرم سعيد الخبير السياسي بمركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية.

وبمناسبة مرور ٤٣ سنة علي تحرير سيناء أرض الفيروز كشف د محمد رفعت الامام عن مجموعة وثائق مهمة جدا نشرتها جريدة الصحافة عام ١٩٠٦ عن دور ديكران باشا دابرو الارمني المصري في رفض قبول فرمان ولاية الخديو عباس حلمي الثاني في عام ١٨٩٢

الذي أراد فيه السلطان عبد الحميد الثاني انتزاع جزء من سيناء الغالية وضمها الي متصرفية القدس وكان وقتها يشغل منصب وزير الخارجية المصرية وكان يعمل مع الحركة الوطنية بقيادة مصطفي كامل مما اثر علي مستقبل ديكران السياسي حيث كان مرشحا لرياسة الوزراء .

وكانت هذه الوثائق مهمة جدا في التحكيم الدولي بشأن طابا التي جاء لصالح مصرية طابا.

وشهدت الندوة ايضاً توقيع الكاتبة رضوي الأسود روايتها بالامس كنت ميتا التي رصدت العلاقات الأرمنية الكردية وقت الإبادة الجماعية واظهرت الجوانب الإنسانية بين الشعوب بغض النظر عن صراع المصالح بين الأنظمة المستبدة

سفيرة مصر في يريفان تلتقي بوزيرة العدل الأرمنية



فى ١ مايو ٢٠٢٥ التقت السفيرة/ سيريناد جميل، سفير جمهورية مصر العربية في يريفان، بـ السيدة/ "سيربوهي جاليان" وزيرة العدل الأرمنية، حيث أكدت السفيرة المصرية على اهتمام مصر ببحث سبل تعزيز التعاون القضائي بين البلدين. كما تم بحث سبل التعاون بين الجانبين المصري والأرمني فيما يتعلق برقمنة العمل القضائى، وإيجاد الطرق البديلة لحل النزاعات، وفرص التعاون في مجال التدريب .

لقاء ساركسيان وصبحي

فى ٦ مايو ٢٠٢٥، التقى السفير الأرمني لدى مصر أرمين ساركيسيان، بوزير الشباب والرياضة الدكتور أشرف صبحي. وناقش الجانبان خلال اللقاء إمكانيات توسيع التعاون الأرمني المصري في مجالات الرياضة والشباب.



تكريم تانيليان في مهرجان الإسكندرية



فى ٧ مايو ٢٠٢٥، تم تكريم الناقد السينمائي و رئيس لجنة اختيار الأفلام، المصري الأرمني(السكندري) دانيال تانيليان في مهرجان الاسكندرية للفيلم القصير.

لقاء ساركسيان ومحافظ القاهرة

في ١٠ مايو ٢٠٢٥، التقى سفير جمهورية أرمينيا لدى مصر أرمين سركيسيان مع محافظ القاهرة الدكتور إبراهيم صابر. ومن جانبه أكد محافظ القاهرة، أن مصر تقدر وتعتز بصداقتها بدولة وشعب أرمينيا وهو ما يبدو جليًا في اللقاءات والاتصالات الرئاسية المتبادلة بين البلدين.،وتناول اللقاء بحث سبل تعزيز التعاون المشترك بين القاهرة ومدينة يريفان عاصمة أرمينيا، ومناقشة الترتيبات الخاصة بتوقيع اتفاقية الصداقة والتعاون بين المدينتين. وناقش الجانبان عددا من القضايا المتعلقة بتطوير التعاون بين يريفان ومحافظة القاهرة في مختلف المجالات.

الاحتفال بصاروخان في جامعة الإسكندرية

في ١٢ مايو ٢٠٢٥، تحت رعاية معالى أ.د /عبد العزيز قنصوة رئيس جامعة الاسكندرية ومعالى نائب رئيس الجامعة أ.د./سعيد علام وبرعاية أ.د. نيفين غريب عميد كلية الفنون الجميلة و أ.د. أماني رضا قائم بأعمال وكيل الكلية لشئون خدمة المجتمع وتنمية البيئة. و بالتعاون مع مؤسسة عبد الله الصاوى للحفاظ على تراث الكاريكاتير المصرى وجمعية القاهرة الخيرية الأرمنية العامة وإشراف أ.د./ محمد عبد السلام عبد الصادق الأستاذ بقسم التصوير.

تستضيف الكلية فعاليات الاحتفال برائد الكاريكاتير المصرى الفنان "صاروخان" من خلال معرض "بورتريهات الإسكندرية" يوم الاثنين ١٢ مايو ٢٠٢٥ بقاعة العرض الرئيسية بمبنى مظلوم يليه ندوة عن كتاب "بورتريهات الإسكندرية" بحضور الباحث عبد الله الصاوى والأستاذ الدكتور "جورج نوبار" رئيس مجلس إدارة جمعية القاهرة الخيرية الأرمنية العامة



حفل أزنافور

عقد فى تمام السابعة مساءًا يوم الأثنين الموافق ١٥ مايو ٢٠٢٥، حفل غنائي بمناسبة مئوية المغني العالمي شارل أزنافور ، بمدرسة سكريكور – غمرة، ١٩٤ شارع رمسيس.



كما تم مؤخرًا الكشف عن تمثال للفنان العالمي شارل أزنافور بأرمينيا، تكريمًا لإرثه وإسهاماته خلال مسيرته الفنية. وقد التقط المخرج والمصور عصام ناجي و المقيم في أرمينيا صورة معبرة للتمثال من خلال عدسة كاميرته، مما يعكس جمال العمل الفني وعمق تأثيره.

بطاركة الكنائس الشرقية في إحياء ذكري مجمع نيقية

بطاركة الكنائس الأرثوذكسية الشرقية في القاهرة لإحياء ذكرى مجمع نيقية و علي رأسهم الكاثوليكوس آرام الأول كيشيشيان، كاثوليكوس بيت كيليكيا الكبير للأرمن الأرثوذكس (أنطلياس – لبنان)



وتأتي الزيارة للمشاركة في القداس الاحتفالي للعائلة الأرثوذكسية الشرقية في الشرق الأوسط، بمناسبة مرور ١٧٠٠ عام على انعقاد المجمع المسكوني الأول في نيقية، والذي سيُقام صباح الأحد ١٨ مايو/أيار في الكاتدرائية المرقسية الكبرى بالعباسية، برئاسة قداسة البابا تواضروس الثاني، بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية.

فاهي فارجابديان في قصر السلطانة ملك

تم افتتاح المعرض الفني لأسبوع مصر الجديدة السنوي الساعة ٦ مساءًا يوم ١٧ مايو ٢٠٢٥ في قصر السلطان حسين كامل (قصر السلطانة ملك) بمشاركة مجموعة من الفنانين التشكيليين من ضمنهم الفنان المصري الأرمني فاهي فارچابديان، حيث يعرض اثنين من أحدث أعماله.

واستمر المعرض يوميًا حتى ٢٤ مايو بتنسيق من الأستاذ أشرف نصيف، ويللي الافتتاح جلسة نقاشية مهمة الساعة عن "دور الفن والثقافة في حماية المناطق التراثية" يشارك بها د. مونيكا حنا و م. أحمد شابوري بإدارة للحوار من ا. هالة الأسمر.

نشاط ثقافي مميز لسفيرة مصر في أرمينيا سيريناد جميل

بمناسبة احتفالات الفرانكوفونية في أرمينيا نظمت السفيرة سيريناد جميل، سفيرة جمهورية مصر العربية في أرمينيا، محاضرة للكاتب والمؤرخ المصري الدكتور أحمد يوسف، حول "أزنافور: شغف مصري"، في مؤسسة أزنافور.

كما نظمت سيادتها بالتعاون مع جامعة هايبوساك في يريفان، محاضرة للكاتب المصري الدكتور أحمد يوسف، وذلك لتقديم كتابه الأخير "بونابرت."

أشار الدكتور أحمد يوسف في محاضرته إلى الوجود التاريخي للأرمن في مصر، مشددًا على دور نوبار باشا كأول رئيس وزراء لمصر في القرن التاسع عشر.

و في كلمتها أكدت السفيرة سيريناد جميل على أهمية التعاون الثقافي بين مصر وأرمينيا.

مؤسسة شارل أزنافور هي مؤسسة خيرية تم تأسيسها من قبل شارل أزنافور وابنه نيكولاس أزنافور بهدف مواصلة العمل الإنساني الذي بدأه الفنان العظيم. تهدف المؤسسة إلى تطوير وتنفيذ مشاريع تعليمية وثقافية واجتماعية ووطنية في أرمينيا والعالم. وتعمل مؤسسة شارل أزنافور في أرمينيا: علي دعم الالعمل الإنساني: كما تساهم المؤسسة في دعم العمل الإنساني في أرمينيا، خاصةً في مجال التعليم والثقافة والاجتماع .

وتدعم المؤسسة العديد من المشاريع الثقافية في أرمينيا، بما في ذلك متحف شارل أزنافور في يريفان. وتقدم المؤسسة دعمًا للشباب الأرمني من خلال برامج تعليمية وتدريبية، كما تقدم المؤسسة الدعم الصحي للمواطنين الأرمن، بما في ذلك توفير الرعاية الصحية للأطفال والنساء.

جازازيان في معرض كاريكاتير

شارك الفنان الأرمني ميرتاد جازازيان في معرض كاريكاتير "صبأرت .. العناصر الأربعة – الماء، الهواء، الأرض، النار .. والذي يقام بمعهد ثربانتس بالقاهرة (المركز الثقافي الإسباني) بالتعاون مع منصة إيجبت كارتون، حيث يقدم مجموعة متنوعة من الرسوم الكاريكاتورية التي تسلط الضوء على القضايا البيئية، مثل حماية الطبيعة والاستدامة.

مشربية حياتي في الهوسابير

فى ٢٨ مايو ٢٠٢٥ تم مناقشة وتوقيع كتاب إنها مشربية حياتي.. وأنا العاشق والمعشوق" للكاتب توماس جورجسيان والصادر عن دار الشروق، وذلك بجمعية الثقافة الأرمنية "الهوسابير" بمصر الجديدة.



وحضـــر الندوة كل من الدكتور محمد أبو الغار، والكاتبة رضوى الأسود، والكاتبة سـونيا توماس، والكاتبة فاطمة البودي، والكاتب سـيد محمود، ونانسي حبيب مسئول النشـر بدار الشـروق، وأدار الحوار الشاعر زين العابدين فؤاد.

بـدأ النـدوة الشـــاعر زين الـدين العـابـدين قـائلا: "الكتاب يضــع أسـئلة عديدة بداية من اسمه، حيث أن المشـــربية بها عيون عديدة وعندما ننظر منها نكز على شـــيء معين، وعيون المشــربية تدل على التنوع الشــديد في حياة توماس جورجيسـيان، بداية من نشـأته في شـبرا، وأصله الأرمني ودراسته في صيدلة ومشواره الثري مع عدد كبير من الأدباء، التي أتاحـت لـه مـا لم يتيح لعـدد كبير من الآخرين في الحياة الثقافية فهو يمزج أربعة ثقافات وهي الثقافة الأرمنية والمصــرية والثقافة العربية ثم اســـتقراره في الولايات المتحدة ومشـــواره هناك". من جانبه قال الكاتب توماس جورجيسـيان :" يجب أن أشـكر الدكتور أبو الغار لأنه لعب دورًا أســـاســـيا في ولادة الكتاب"، واستطرد: "المشربية هي عبارة عن عاشق ومعشوق وأحيانا أكون أنا العاشق والمعشوق."

وأضـــاف توماس جورجيســـيان: "الكتاب يتناول جزء من عائلتي أو الأرمن بشـكل عام وما مروا بها من شـتات ومحاولة لم الشـــمل، فوالدتي اســـتطاعت أن تخلق أرمينيا صــغيرة داخل بيتنا في شــقتنا بشــبرا، فالكتاب نوع من حجر "موزاييـك" حيـاتي حـد مجموعـة من الأفكـار والأحلام والحكايات التي جمعتها في عمل واحد".

ويتناول كتـاب «إنهـا مشـــربية حيـاتي» وأنا العـاشـــق والمعشـوق، جانبًا من حياة توماس جورجسـيان ومسـيرته وخبرته الإنسـانية والمعرفية والصـحفية، والتي تتبلور كلها من خلال سـطور القصـص، وعبر بورتريهات مدهشـة لكبار الشخصيات والآباء، الذين عرفهم عن قرب.

كتاب «إنها مشـربية حياتى.. وأنا العاشـق والمعشـوق»، يروى الكاتب تجربة تســـتحق الاحتفاء والتوقف عندها طويلاً، لأنها تتعلق بسـيرة شـخص صنعته ثلاث ثقافات مختلفة، الأرمنية والمصرية والأمريكية.

البحث عن هرانت ناصيبيان و ستوديو ناصيبيان للافلام

في العدد ٢٩ من مجلّة الفيلم في موضـــوع عن المدينة وسـينما الألفية الجديدة كتب الباحث و الكاتب سـامح ســـامي مدير جمعية النهضـــة العلمية والثقافية "جزويت القاهرة" ،. عن ستوديو ناصيبيان التاريخي. ووضح سبب اهتمامه باستوديو ناصيبيان القديم الذي دائمًا يصفه بأنه «العظيم»، والذي يشهد الآن عظمة وبهجة وإبداعًا.

أقل من مائة عام على تأسـيس سـتوديو ناصـيبيان، لكن يبدو أمر هرانت ناصـيبيان نفسه غاية في الصعوبة! فمنذ دخولي لأول مرة أرض مسرح ستوديو ناصيبيان وأنا أبحث كثيرًا عن مؤسسه في معظم كتب تاريخ السينما المصرية، لكني لم أجد إلا سطرًا هنا وسطرًا هناك.

بحثت كثيرًا في دار الكتب المصــرية بمســاعدة الزميلة ريم محمد سـيد، وكذلك بمسـاعدة الزميلة نادين يوسـف ولم نصـل لشـيء، ليزداد يقيني بأن دار الكتب المصـرية كنز مطموس تحت تراب البيروقراطية الوظيفية، بحجة ســد الباب الذي ربما تأتي منه رياح لأي تغيير أو لأية محاولة لفهم تاريخنـا العظيم، أو بحجـة الخوف من أي تأويلات عن واقعنا المرير.

كانت آخر محاولة لي هي دعوة على «السوشيال ميديا» لمن يســتطيع المســاعدة. وكانت الاسـتجابة من الدكتور أرمين مظلوميان رئيس الهيئة الوطنية الأرمينية وســـكرتير المجلس الملي للبطريكية الأرمنية في مصـر الذي أعطانا كنزًا حقيقيًّا عن هرانت ناصـيبيان، خاصـة صوره التي ننشـرها في هذا العدد.

قال مظلوميان إن ناصيبيان كان من أعيان الأرمن في مصر، وكان رئيس المجلس الملي للأرمن في الخمسينيات، وافتتح العديد من ستوديوهات التصوير الفوتوغرافي مثل: سيني فوتو وفرانيا بوسط البلد. ومنذ سنتين حصلت من طالب بمدرسة السينما على بعض كروت ذلك الاستوديو وبعض من الأفلام الخام «نيجاتيف«. ويبدو أن تلك الاستوديوهات تم غلقها؛ إذ إن العمارة المذكورة على كروت ستوديو فرانيا الكائنة في شارع ٢٦ يوليو، لا يوجد بها أي أثر يدل على ستوديو فرانيا أو غيره.

وأكد الدكتور مظلوميان أن «ليون أوهانيسيان» جده لأمه كان شريكا لهرانت ناصيبيان في الاستوديو، وكان ناصيبيان أيضًا ابن خالة جدة مظلوميان المتزوجة من أوهانيسيان، قائلاً: «جدي كمان مع ناصيبيان أصبحوا أغنياء لكن عبد الناصر أممهم وجدي كان يبيع سجائر مع الملياردير أوناسيس على رصيف الميناء بعد ما جه من المذابح».

٨٧ مشرعًا أمريكيًا يضغطون على إدارة ترامب– فانس لضمان عودة آمنة للأرمن إلى آرتساخ



رسالة (مدعومة بالقانون الدولي ومتجذرة في حقوق الإنسان) ثنائية الحزب مدعومة من الهيئة الوطنية الأرمنية **ANCA** – بقيادة الكتلة الأرمنية في الكونغرس – تُسلّط الضوء على مبادرة السلام السويسرية.

ترحب اللجنة الوطنية الأرمنية الأمريكية **(ANCA)** بدعوة قوية من الكونجرس، صدرت اليوم عن سبعة وثمانين نائبًا أمريكيًا من أربع وعشرين ولاية – يمثلون أكثر من ٦٦ مليون أمريكي – تدعو إلى العودة الجماعية والآمنة للأرمن النازحين قسرًا إلى وطنهم الأصلي ناجورنو كاراباخ (آرتساخ)، بما يتماشى مع القانون الدولي ودعمًا للسلام العادل والدائم في جنوب القوقاز.

صرح آرام هامباريان، المدير التنفيذي للجنة الوطنية الأرمنية الأمريكية: "هذه الرسالة من الكونغرس، الصادرة عن الحزبين، تبعث رسالة واضحة إلى الإدارة: أي مسار نحو سلام إقليمي حقيقي يجب أن يبدأ بالعودة الجماعية والآمنة للأرمن إلى آرتساخ – وليس بالتأكيد تطبيع التطهير العرقي الذي مارسته أذربيجان بحق المسيحيين الأصليين من وطنهم العريق". وأضاف: "يعرب الناخبون الأرمن الأمريكيون وحلفاؤنا الكثر عن امتنانهم لقيادة التكتل الأرمني ولكل عضو في الكونجرس الذين دافعوا اليوم عن السلام والعدالة – وهي رسالة مدعومة بالقانون الدولي ومتجذرة في حقوق الإنسان."

في رسالتهم، التي قادها الرؤساء المشاركون للكتلة الأرمنية في الكونغرس، فرانك بالوني (ديمقراطي – نيوجيرسي)، وغوس بيليراكيس (جمهوري – فلوريدا)، وبراد شيرمان (ديمقراطي – كاليفورنيا)، وديفيد فالاداو (جمهوري – كاليفورنيا)، أكد المشرّعون: "نحثّكم على إشراك جميع الأطراف في هذا النزاع الذي لم يُحلّ بعد لضمان العودة الجماعية والكريمة والمحمية للأرمن النازحين قسرًا إلى موطنهم الأصلي ناغورنو كاراباخ. إن اتخاذ هذا الإجراء يتوافق تمامًا مع القانون الدولي، وسعيًا لتحقيق سلام عادل ودائم في المنطقة".

توثّق الرسالة عواقب حصار أذربيجان وهجومها العسكري على آرتساخ عام ٢٠٢٣، والذي "شرّد قسرًا جميع سكان المنطقة الأرمن المسيحيين البالغ عددهم ١٢٠ ألف نسمة".

وتفصّل الرسالة كيف قامت أذربيجان، عقب الهجوم، "بتدمير ممنهج لمواقع التراث الثقافي الأرمني المسيحي"، ونفّذت "عمليات نهب وهدم واسعة النطاق للممتلكات المدنية والبنية التحتية العامة، في محاولة لحرمانهم من إمكانية العودة".

مستشهدةً بالسوابق الدولية، تنص الرسالة على أن "حق النازحين بسبب الحرب في العودة إلى ديارهم مبدأ أساسي من مبادئ القانون الدولي". كما تشير إلى قرار محكمة العدل الدولية الصادر في ديسمبر/كانون الأول ٢٠٢٣، والذي يُلزم أذربيجان بضمان عودة آمنة لسكان أرتساخ الأرمن.

وتحث الرسالة الإدارة الأمريكية تحديدًا على دعم مبادرة السلام السويسرية في ناجورنو كاراباخ، وهي إجراء دبلوماسي اعتمده البرلمان السويسري "لإنشاء منصة تفاوض دولية للتوسط في عودة آمنة ومأمونة ومضمونة دوليًا للأرمن". نوقشت المبادرة السويسرية بشكل بارز خلال جلسة إحاطة في الكونغرس، حضرها أكثر من ٢٠٠ من موظفي الكابيتول هيل، ومناصري حقوق الإنسان، وخبراء السياسات، في ١٠ يوليو/تموز. وتضمنت الفعالية كلمات من البرلمانيين السويسريين إريك فونتوبل ولوكاس ريمان، ورئيس منظمة التضامن المسيحي الدولية الدكتور جون إيبنر، ووزير الخارجية الأرميني السابق فارتان أوسكانيان. افتتح الفعالية مارك ميلوش، المدير الجمهوري لمكتب النائب كريس سميث (جمهوري–نيوجيرسي)، الرئيس المشارك للجنة توم لانتوس لحقوق الإنسان، وأدار أليكس جاليتسكي، مدير السياسات في ANCA، جلسة أسئلة وأجوبة ثرية.

خلال الشهر الماضي، أرسل المدافعون عن حقوق الأرمن الأمريكيين ومؤيدوهم أكثر من ٤٠,٠٠٠ رسالة بريد إلكتروني ومكالمة هاتفية، عبر منصات ANCA الوطنية والإقليمية والمحلية، لحثّ المشرّعين على التوقيع المشترك على الرسالة. إضافةً إلى ذلك، زار ليو سركيسيان ومارال ميلكونيان أفيتيسيان، المتدربان الصيفيان في ANCA، أكثر من ٤٠٠ مكتب في الكونغرس أسبوعيًا، حيث قدّما صحائف وقائع، ودافعا عن سياسة حق العودة المدعومة من الولايات المتحدة للناجين من الإبادة الجماعية في أرتساخ. في الرسالة، أكّد المشرّعون أيضًا الالتزامات الأمريكية السابقة، مستشهدين بشهادة مساعد وزير الخارجية جيم أوبراين، الذي قال: "لقد حثثنا أذربيجان على ضمان عودة آمنة وكريمة ومستدامة لجميع الأرمن الذين غادروا ناجورنو كاراباخ، إذا اختاروا ذلك، مع ضمان حقوقهم وأمنهم". واختتمت الرسالة الموجهة إلى الكونجرس بمناشدة قوية: "إننا نتطلع إلى ردكم، وإلى فرصة العمل معكم لتعزيز السلام العادل والدائم والكريم في المنطقة والذي يضمن الحقوق الأساسية للأرمن النازحين في العودة إلى وطنهم الأصلي دون خوف من تجدد العنف والاضطهاد".

جمعية القاهرة الخيرية الأرمنية العامة فى احتفالية وزارة الثقافة
بمناسبة مرور ٢٠٠ عاماً على ميلاد نوبار باشا أول رئيس وزراء لمصر المحروسة







